الفصل الثالث

صفات المضحك ووسائله فى الإضحـــاك

نجد أن المضحكين الذين ظهروا عند العرب ما بين العصرين الأموى والعباسى يتفق الكثير منهم فى صفات مشتركة، وبعضهم انفرد بصفات خاصة به، وهذه الصفات – سواء أكانت جسمية أم نفسية أم سلوكية، أم غير ذلك – هى فى الوقت نفسه وسائل يستخدمها المضحك فى إثارة الضحك؛ ولذا فنحن ندرسها هنا خلال دراستنا للوسائل التى استخدمها المضحك فى إضحاك الناس.

وهناك وسائل أخرى استخدمها المضحك لإثارة الضحك لا تتعلق بصفاته، سنقوم بدراستها أيضًا فى هذا الفصل من هذا الكتاب.

القدرة الكبيرة على الإضحاك

ولعل أبرز صفة يتميز بها المضحكون هى القدرة الكبيرة التى لديهم على إضحاك الناس[1]، ويستخدمون خلال ذلك كل إمكانياتهم فى أجسامهم، وتعليقاتهم، وصناعة المواقف المضحكة، وغير ذلك من وسائل الإضحاك.

ونرى بعض المضحكين لا يتقنون أى عمل آخر غير إضحاك الناس وتسليتهم.

---

(١) انظر: د. وديعة طه النجم: الفكاهة فى الأدب العباسى. بحث منشور فى مجلة عالم الفكر. الكويت، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٢م، المجلد الثالث عشر، العدد الثالث، ص٣٧. ولاشك أن إثارة الضحك عمل شاق يتطلب الكثير من الإتقان والإحكام، و لا بد أن يكون القائم به على قدر عظيم من حاسة الضحك والإحساس المرهف بمصادر الفكاهة. انظر: روجر. م. بسفيلد (الابن): فن الكاتب المسرحى للمسرح والإذاعة والتليفزيون والسينما. ترجمة: دريني خشبة. القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٤م، ص٢٥٣.

فهذا أشعب حاولت أمه أن تعلمه صنعة منذ صغره، ولكنه لا يفلح فيها، ولا فى أى صنعة أخرى خلاف إضحاك الناس، فقد قال أشعب: "أسلمتنى أمى إلى بَزَّازٍ، فسألتنى بعد سنةٍ أين بلغت؟ فقلت: فى نصف العمل. قالت: وكيف؟ قلت: تعلمت النشر وبقى الطىّ، قالت: أنت لا تفلح"[1].

وفى النادرة التالية نرى أشعب لا يستطيع حفظ شىء سوى النوادر ليضحك بها من حوله.

"قيل لأشعب: لو أنك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر لكان أولى بك. قال: قد فعلت: قالوا له: فما حفظت من الحديث؟ قال: حدثنى نافع عن ابن عمر عن النبى.

قال: "من كان فيه خصلتان كُتِب عند الله خالصًا مخلصًا". قالوا: إن هذا حديث حسن؛ فما هاتان الخصلتان؟ قال: نَسِى نافع واحدة! ونسيت أنا الأخرى!"[2].

والأعجب من هذا أن نرى أشعب الذى عاش حياته كلها لإضحاك من حوله من علية الناس وعامتهم – إذا به عند موته يموت وهو يضحك من حوله أيضًا، فيروى أنه "كانت بالمدينة عجوز شديدة العين، لا تنظر إلى شىء تستحسنه إلا عانته[3]، فدخلت على أشعب وهو فى الموت، وهو يقول لبنته: يا بنية، إذا مت فلا تندبينى والناس يسمعونك، فتقولين: وا أبتاه

---

(١) زهر الآداب، ١٦٣/١، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٦٨، وأخبار الظراف والمتماجنين، ص٦٩، والأغانى، ١٣٩/١٩.

(٢) العقد الفريد، ١٣٤/٨- ١٣٥.

(٣) عانته: أى حسدته.

أندبك للصوم والصلوات، وا أبتاه أندبك للفقه والقراءة، فيكذبك الناس ويلعنونى.

والتفت أشعب فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه وقال لها: يا فلانة بالله إن كنت استحسنت شيئًا ممّا أنا فيه فصلى على النبى ﷺ لا تهلكينى.

فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك، فى أى شىء أنت مما يستحسن! أنت فى آخر رمق! قال: قد علمت ولكن قلت: لئلا تكونى قد استحسنت خفة الموت علىَّ وسهولة النزع، فيشتد ما أنا فيه.

وخرجت من عنده وهى تشتمه، وضحك كل من كان حوله من كلامه، ثم مات"[1].

هذا عن أشعب أما أبو دلامة فكان يمتلك قدرة عالية على إضحاك كل من حوله حتى فى أصعب المواقف كمواقف العزاء، حتى إنه قد قال أبياتًا يرثى بها أبا العباس السفاح، وأنشدها أمام زوجته أم مسلمة، فتأثرت بها، ثم أضحكها فى الموقف نفسه، ولم تكن قد ضحكت من قبل، وها هو ذا الخبر الذى فيه هذا الأمر.

"ودخل أبو دلامة على أمِّ سلمة بنت يعقوب بن مسلمة المخزومية زوجة أبى العباس السفاح يعزِّيها عنه فبكى، وأنشد قصيدة منها:

---

(١) الأغانى، ١٩/١٧٨- ١٧٩، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٤/٣٦.

أمسيتَ بالأنبار يا بن محمد ... لا تستطيع من البلاد حويلا

ويلى عليك وويل أهلى كلهم ... ويلاً وهولاً فى الحياة طويلا

فلتبكينّ لك النساء بعبرة ... وليبكين لك الرجال عويلا

مات الندى إذ متَّ يا بن محمد ... فجعلته لك فى التراب عديلا

إن أجملوا فى الصبر عنك فلم يكن ... صبرى ولا جَلَدى عليك جميلا

يجدون منك خلائفًا وأنا امرؤ ... لو عشت دهرى ما وجدت بديلا

إنى سألتُ الناس بعدك كلَّهم ... فوجدت أسمح من وجدت بخيلا

ألشقوتى أُخّرت بعدك للذى ... يدع العزيز من الرجال ذليلا

ألشقوتى أخرت بعدك للذى ... يدعُ السمينَ من العيال هزيلا

فقالت له أم سلمة: يا زَنْد، ما أصيب أحد بأمير المؤمنين غيرى وغيرك؟ قال: ولا سواء، أنت لك ولدٌ منه تسلين به، وأنا لا ولد لى منه.

فضحكت أم سلمة ولم تكنْ ضحكت منذ مات أبو العباس وقالت: يا زند، ما تدع أحدًا إلا أضحكته!"[1].

وخلال دفن ابنة عم أبى جعفر المنصور يمارس أبو دلامة وظيفته كمضحك مما يجعل الخليفة المنصور يضحك رغمًا عنه فى موقف الجنازة، كما نرى فى هذه النادرة.

---

(١) جمع الجواهر، ص١٠٧- ١٠٨.

"وماتت بنت عم للمنصور، فحضر جنازتها، وجلس لدفنها، وأقبل أبو دلامة الشاعر، فقال له المنصور: ويحك! ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ابنة عمك هذه التى واريتها قبيل!

فضحك المنصور حتى استُغْرِبَ"[1].

المضحك يسخر من نفسه ومن أقرب الناس إليه

بعض المضحكين كانوا قباح الوجوه، ولم يكونوا ينزعجون من ذلك، بل كانوا يستغلون قبح وجوههم كمادة للسخرية والإضحاك.

وتعد سخرية المضحك من نفسه ومن أقرب الناس إليه بابًا من أبواب الفكاهة، وخلاله يحط المضحك من قدر نفسه أو من قدر أقرب الناس إليه، وقد أشار أرسطو إلى أن "الحط من وضع المضحوك منه هو الباعث على إثارة الضحك"[2].

ويقول ألارديس نيكول: "ربما يثير ضحكنا دائمًا أن نشاهد أناسًا تعبر بهم ظروف يجردون فيها من كرامتهم، وأناسًا فى موقف من مواقف الجد لا يلبثون أن تداس أنوفهم فى الرغام"[3].

وطريقة "الحط من المقام تتيح الفرصة للعاهات البدنية ذات النمط المضحك"[1] فى الظهور بشكل واضح.

---

(١) استغرب فى الضحك: أكثر منه. وانظر النادرة فى: المبرد: الكامل. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربى، د.ت، ١١٧/١، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص١١٨، وجمع الجواهر، ص١١٤.

(٢) د. إبراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية. القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ص٨٧.

(٣) علم المسرحية، ص٣١١.

وأشعب وأبو دلامة ومزبد وغيرهم من المضحكين كانوا يسخرون من أنفسهم خلال مزاحهم وقيامهم بإضحاكهم من حولهم، ولا يجدون حرجًا فى انتقاص أنفسهم فى سبيل تفجير الفكاهة لإضحاك من معهم.

ولم يكن أشعب يخجل من قبحه بل كان يرى فى ذلك مادة لإضحاك من حوله، فقد "قال رجل لأشعب – وكان صديق أبيه - : يا بنى. كان أبوك عظيم اللحية، فمن أشبهت أنت، قال: أشبهت أمِّى"[٢].

ويتكلم أشعب عن حاله منذ صغره حتى كبره بشكل فيه سخرية من نفسه كما نرى فى هذه النادرة.

"قال أشعب: فىّ وفى أبى الزناد عجب؛ كنت أنا وهو فى كفالة عائشة بنت عثمان، فما زال يعلو وأسفل حتى بلغنا غايتنا هذه!"[٣].

وفى سبيل إضحاكه من حوله إذا به يحلم حلمًا مضحكًا – أو يدَّعى أنه حلمه – يسخر فيه من نفسه سخرية شديدة، كما نرى فى هذه النادرة.

"وقال أشعب: رأيتُ رؤيا نصفها حق ونصفها باطل. قالوا كيف ذلك؟ قال: رأيتنى أحمل بدرة[٤]، فمن شدة ثقلها علىّ كنت أسلح فى ثيابى، ثم انتبهت[٥]، فإذا أنا بالسلح ولا بدرة!"[٦].

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٥.

(٢) نثر الدر، ٣١٩/٥، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٣٠١/٤.

(٣) العقد الفريد، ١٣٤/٨.

(٤) البدرة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به، ويقدم فى العطايا.

(٥) فى الأصل: انتهيت.

(٦) العقد الفريد، ١٣٥/٨، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص٦٩.

بل يصل الأمر بأشعب أن يتحمل بعض مخازى غيره، فى سبيل أن ينال بعض عطاياهم، أما هو فلا يهمه أن يعرف الناس أنه قام بهذه المخازى، كما نرى فى هذه النادرة.

"صلَّى أشعب يومًا إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه، لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فوهم الناس أنه هو الذى خرجت منه الريح.

فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له: الدية، فقال: دية ماذا؟ فقال: دية الضرطة التى تحملتها عنك، واللّه وإلا شهرتك، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئًا صالحًا"[1].

وأبو دلامة أيضًا لم يكن يجد حرجًا فى أن يسخر من نفسه فى سبيل إضحاك من حوله، ونيل بعض عطاياهم، كما نرى فى هذه الرواية.

وروى عن المدائنى قال: "دخل أبو دلامة على المهدى وعنده إسماعيل ابن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بنى هاشم. فقال له المهدى: أنا أعطى اللّه عهدًا إن لم تهجُ واحدًا ممن فى البيت، لأقطعنَّ لسانك أو لأضربن عنقك.

فنظر إليه القوم، وكلما نظر إلى أحدٍ منهم غمزه بأنّ علىّ رضاك، قال أبو دلامة: فعلمت أنى قد وقعت وأنها عزمةٌ من عزماته لا بد منها، فلم أر أحدًا أحق بالهجاء منى ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسى، فقلت:

---

(١) الأغانى: ١٤٤/١٩، انظر أيضًا: نهاية الأرب، ٢٨/٤.

ألا أبلـــغ لـــديك أبـــا دلامـــة فلسـت مـن الكـرام ولا كرامـهْ

إذا لـبس العمامـةَ قلـتُ قـردًا وخنزيـــرًا إذا نـــزع العمامـــةْ

جمعـتَ دمامـةً وجمعـتَ لؤمًـا كـذاك اللـؤم تتبعـه الدمامـهْ

فـإن تـك قـد أصبت نعـيم دنيـا فـلا تفـرح فقـد دنـت القيامـهْ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلا أجازه"[1].

وفى رواية أخرى نرى أبا دلامة يهجو نفسه على لسان زوجته، رغبة فى نيل عطاء الخليفة أبى جعفر المنصور.

"دخل أبو دلامة على أبى جعفر المنصور فأنشده وذكر زوجته:

فاخرنطمت ثم قالت وهى مغضبة أأنـت تتلـو كتـاب اللّه يـا لكـع؟!

قم كى تبيع لنا نخلاً ومزدرعًا كمـا لجارتنـا نخـلٌ ومـزدرعُ

خـادع خليفتنـا عنهـا بمسـألةٍ إن الخليفـــة للسُّـــؤَّال ينخـــدعُ

قال: قد أمرنا لك بمائة جريب عامر، ومائة جريب غامر. فقال: وما الغامر يا أمير المؤمنين؟ قال: الذى لا يُنْبِتُ، قال: فإنى أقطعك عشرة آلاف جريب من فيافى بنى أسد.

فضحك وأمر له بالجميع عامرًا، فقال: ائذن لى فى تقبيل يدك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أمَّا هذه فدعها، فقال: ما منعت عيالى شيئًا أسهل عليهم من هذه"[1].

---

(١) نهاية الأرب، ٤٤/٤، وانظر أيضًا: العقد الفريد، ١٤١/٨- ١٤٢.

وكان مزبد أيضًا مشوّه الخلقة كأشعب وأبى دلامة، وكان قبحه مادة للسخرية منه من قبل المحيطين به كزوجته كما نرى فى هذه النادرة.

"وقالت امرأة مزبد – وكانت حبلى، ونظرت إلى قبح وجهه –: الويل لى إن كان الذى فى بطنى يشبهك.

فقال لها: الويل لى إن كان الذى فى بطنك لا يشبهنى"[٢].

ولم يكن قبح وجهه شيئًا يضايقه بل إنه كان يستغله لإضحاك من حوله، كما نرى فى هذه النادرة.

"ونظر مزبد وجهه فى المرآة فرآه قبيحًا، فقال: الحمد لله الذى لم يحمد على المكروه سواه"[٣].

وفى النادرة التالية نرى مزبدًا يسخر من نفسه أيضًا.

"ولقى مزبد رجلاً كان صديقًا لأبيه. فقال: يا بنى، كان أبوك عظيم اللحية، فما بالك أجرودىّ؟ فقال مزبد: أنا خرجت لأمى"[٤].

ويسخر أبو العنبس الصيمرى من نفسه من خلال مقارنته بين ما آلت إليه حاله وحال أخيه التوءم فى مقابلة تستدعى الضحك.

"قال أبو العنبس الصيمرى: أنا وأخى توأمان، وخرجت أنا وهو من البصرة فى يومٍ واحدٍ وساعةٍ واحدةٍ. ودخلنا سر من رأى فى يوم واحد، فولى هو القضاء، وصُيِّرْتُ أنا صفعان، فمتى يصح أمر النجوم؟"[٥].

---

(١) جمع الجواهر، ص١٠٠- ١٠١.

(٢) نثر الدر، ٢٣٧/٣، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٢٤/٤ – ٢٥.

(٣) جمع الجواهر، ص٢٧٧.

(٤) المصدر السابق، ص٣٠٧.

(٥) البصائر والذخائر، ٤٢/٦.

وحتى بعض المضحكين الذين لم يكونوا قباح الوجوه، كانوا يسخرون من أنفسهم بوسائل أخرى كأن يرضوا بأن ينسب إليهم أفعال مخزية، وأعمال حقيرة تشين من يفعلها، كما نرى الجماز فى هذه النادرة.

وقيل للجماز: "إذا وهب لك أمير المؤمنين جارية، فما تصنع بها، فقال: أنا أعرف من نفسى ما تحتاج – والله – جاريةٌ إلا أن أقود عليها"[1].

وبصفة عامة فقد رأينا عددًا لا بأس به من المضحكين فى العصرين الأموى والعباسى لا ينزعجون من قبح وجوههم ومن تندر الناس عليهم بذلك، بل إنهم يسخرون هم من أنفسهم لإضحاك من حولهم ولنيل عطاياهم.

وبعضهم كان لا يرى حرجًا فى أن يوصف بعمل الأفعال المخزية المشينة، ما دام هذا يعمل على نفاق بضاعته فى إضحاك من حوله.

وبالطبع هناك مضحكون كانوا ينزعجون من أن يصفهم الناس بالقبح أو بعاهاتهم أو بأى فعل مخزٍ ينسب إليهم مثل أبى العيناء، وكانت وسائله فى الإضحاك بما لا يمتهن نفسه أو يقلل من قدرها كما سوف نرى فيما بعد.

اتصاف بعض المضحكين بالجرأة

لعل أغلب المضحكين الذين نتحدث عنهم فى هذا الكتاب قد اتصفوا بالجرأة خلال قيامهم بإضحاك من حولهم، وقد يصل الأمر أن يتجرءوا على كبار رجال الدولة بما فيهم الخليفة نفسه.

---

(١) جمع الجواهر، ص١١٥.

وكان من حولهم يقبلون منهم جرأتهم هذه؛ لأنهم يعرفون أنهم ما قاموا بما يقومون به من أفعال فيها جرأة إلا فى سبيل الضحك والمزاح.

ومع أن أبا جعفر المنصور كان معروفًا بشدّته، فإن أبا دلامة تجرأ عليه وسخر من بعض قراراته السياسية، ولم يعاقبه المنصور، كما نرى فى هذا الخبر.

دخل أبو دلامة "على أبى جعفر المنصور. وكان المنصور قد أمر أصحابَه بلبسِ السوادِ والقلانس الطوال، وتدعم بعيدان من داخِلها، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

فلما دخل عليه أبو دلامة فى هذا الزىّ، قال له المنصورُ: ما حالُك؟ قال: شر حال يا أمير المؤمنين، وجهى فى نصفى، وسيفى فى إستى، وقد صبغت بالسواد ثيابى ونبذتُ كتاب اللّه من وراءِ ظهرى، ثم أنشد:

وكنا نرجِّى منحةً من إمامِنا ... فجاءتْ بطولٍ زادَه فى القلانس

تراها على هامِ الرجالِ كأنها ... ديارُ يهودٍ جُلِّلت بالبرانس

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذَّره من ذلك، وقال: إياك أن يسمع هذا منك أحد"[2].

---

(١) سورة البقرة: من الآية ١٣٧.

(٢) نهاية الأرب، ٣٧/٤، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص١٠٧.

وكان الخليفة يكفل لمضحكيه الحماية فيمكنهم السخرية من كبار رجال الدولة – عداه بالطبع – كما نرى فى هذه الرواية التى يسخر فيها أبو دلامة من علىّ بن سليمان أحد أبناء البيت العباسى.

"وخرج المهدى وعلىّ بن سليمان إلى الصيد، فسنح لهما قطيع من ظباء، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ورمى المهدى سهمًا فأصاب ظبيًا ورمى علىّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله، فقال أبو دلامة:

قد رمى المهدىُّ ظبيًا شك بالسهم فؤادَهْ

وعلىّ بن سليما نَ رمى كلبًا فصادَهْ

فهنيئًا لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدى حتى كاد يسقط عن سرجه، وقال: صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزةٍ سنية، فلقب علىّ بن سليمان بعد ذلك: صائد الكلب، فغلب عليه"[1].

وكان أبو العيناء من أكثر المضحكين الذين لديهم جرأة كبيرة فى نقد من حوله من أصحابه وكبار رجال الدولة – عدا الخليفة المتوكل – ولعل حماية الخليفة المتوكل له – لنظره إليه على أنه مسامر مضحك –جعلته يتجرأ كثيرًا لنقد بعض كبار رجال الدولة، وإظهار ما لديهم من فساد كما نرى فى هذه الرواية.

(١) نهاية الأرب، ٤٤/٤، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص١١١- ١١٢، والعقد الفريد، ١٤١/٨.

"سُلِّم نجاح بن سلمة[1] إلى موسى بن عبد الملك[2] ليستأديه مالاً، فتلف فى المطالبة.

فلقى بعض الرؤساء أبا العيناء، وقال له: ما عندك من خبر نجاح؟ قال: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[3].

فبلغت كلمته موسى بن عبد الملك، فلقيه فقال: أبى تولع[4]؟ والله لأقومنك، فقال: ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾[5]"[6].

وفى نادرة أخرى نرى أبا العيناء يسخر من طعام قدمه له عيسى بن المتوكل.

---

(١) أبو الفرج نجاح بن سلمة أحد الكتاب البارزين، وقد تولى فى خلافة المتوكل ديوان التوقيع والتتبع على العمال، ويبدو أن نجاح بن سلمة استغل هذا المنصب من أجل عمل المؤامرات على بعض الكتاب والعمال فى الدولة آنذاك، وكانت نهايته أن مات مقتولاً بعد أن استصفى المتوكل ماله، وكان ذلك بتحريض من الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان. انظر: مسكويه: تجارب الأمم. مطبوع مع كتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق. لمؤلف مجهول. بغداد، مكتبة المثنى، د. ت، ٥٢٢/٦- ٥٥٣.

(٢) موسى بن عبد الملك الأصبهانى، أبو عمران، من أصحاب ديوان الخراج فى الدولة العباسية، كان من فضلاء الكتاب وأعيانهم، تنقل فى الخدم، فى أيام جماعة من الخلفاء، وولى ديوان السواد وغير، فى أيام المتوكل، وكان مترسلاً له "ديوان رسائل" وتوفى سنة ٢٤٦هـ. انظر: الأعلام، ٣٢٤/٧.

(٣) سورة القصص، من الآية ١٥.

(٤) تولع: أى تستخف وتستهزئ.

(٥) سورة القصص، من الآية ١٩.

(٦) نثر الدر، ٢٠٢/٣- ٢٠٣.

"وقدم إليه عيسى بن المتوكل سِكْبَاجة، فجعل لا تقع يده إلا على عظمٍ. فقال: جعلت فداك، هذه قدر أو قبر؟"[1].

وينتقد أبو العيناء صاعدًا[2] الذى تحول من النصرانية للإسلام وصار وزيرًا، كما نرى فى هذه النادرة.

"ولما استُوزِرَ صاعد بعقب دخوله من النصرانية فى الإسلام صار أبو العيناء إلى بابه، فقيل: يصلى. فعاد فقيل: يصلى.

فقال: معذور لكل جديدٍ لذة"[3].

وفى نادرة أخرى نراه يسخر من علوىّ خاصمه.

"وخاصم أبو العيناء يومًا علويًّا، فقال له العلوى: تخاصمنى وقد أمرت أن تقول اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد؟ فقال: لكنى أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت"[4].

وأيضًا كان الجماز جريئًا فى نقد من حوله من كبار رجال الدولة فى خلافة المتوكل، حتى إنه ليرد على سخرية الفتح بن خاقان منه، بأن يسخر هو نفسه منه فى الموقف نفسه، كما نرى فى هذه النادرة.

---

(١) جمع الجواهر، ص٢٨٥، انظر أيضًا: نثر الدر، ٢٠٣/٣.

(٢) هو صاعد بن مَخْلَد وزير من أهل بغداد. كان نصرانيًّا وأسلم على يد الموفق العباسى. واستكتبه الموفق سنة ٢٦٥هـ. ووجهه فى المهمات، ولقب بذى الوزارتين. قال الشابشتى: كان من رجالات الناس حزمًا وضبطًا وكفاية وكرمًا ونبلاً، كثير الصدقات والصلوات ليلاً ونهارًا، وقد غضب عليه المُوفَّق لوحشة وقعت بينه وبين صاعد، وسجنه، وكانت وفاته سنة ٢٧٦هـ، انظر: الأعلام، ١٨٧/٣.

(٣) نثر الدر، ٢٠٠/٣، وانظر أيضًا: زهر الآداب، ٢٨٦/١.

(٤) معجم الأدباء، ٢٦٠٧/٦.

"وقال له الفتح[1]: قد كلمت أمير المؤمنين فيك حتى ولاك جزيرة القرود، فقال له الجماز: أفلست فى السمع والطاعة أصلحك الله؟

فحصر الفتح وسكت؟"[2].

وقد رأينا فيما سبق الهفتى مضحك المعتصم يتجرأ عليه فى نقده إياه، ولا يغضب منه المعتصم بل يستمع إليه؛ لأنه يعرف أنه يتكلم مع مضحكه[3].

وبصفة عامة فقد اتصف أكثر المضحكين بالجرأة، ونقدوا كثيرًا من الشخصيات الهامة فى عصرهم، ونقدوا كثيرًا من الأوضاع السياسية والاجتماعية المضطربة من حولهم.

المضحك واسع الحيلة

وغالبًا ما يكون المضحك واسع الحيلة، يقوم بعمل الحيل الطريفة لإضحاك من حوله، ولنيل عطاياهم، وهو خلال حيله التى يصطنعها يبدو مؤلفًا وممثلاً ومخرجًا فى الوقت نفسه، فهو يؤلف هذه الحيل ويمثلها ويخرجها بنفسه، وغالبًا ما تجوز حيله على من يقوم بها أمامه، وحتى إن

---

(١) الفتح بن خاقان أديب ظريف، شهر بحسن خلقه، وكان أقرب الناس للمتوكل يكاد لا يفارقه، وقتل معه سنة ٢٤٧هـ، وكانت بينه وبين الجاحظ علاقة مودة، وبينهما رسائل فى أمور تخص الدولة العباسية زمن المتوكل. انظر عنه: معجم الأدباء، ٢١٥٧/٥- ٢١٦٣، وسير أعلام النبلاء، ٨٢/١٢، ود. على محمد السيد خليفة: الجاحظ والدولة العباسة. الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، ص١٨٥- ١٨٧.

(٢) نثر الدر، ٢٥٧/٣، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص٨٤، وجمع الجواهر، ص١١٥، وزهر الآداب، ١٦٤/١.

(٣) تاريخ الطبرى "تاريخ الرسل والملوك"، ١٩/٩.

أدركوا أنه يكذب فهم يضحكون منه ويجيزونه لمهارته فى حيله؛ ولأن حيله هى وسيلة من وسائل إضحاكه.

وتروى لأشعب نوادر وحكايات عديدة تدل على سعة حيلته، وهى كلها حيل طريفة تستدعى الضحك، ومن حيله الطريفة تلك الحيلة التى تنسب لجحا[1] أيضًا، ولكن يبدو أن أصلها يعود لأشعب؛ لأنها تنسب لجحا فى الكتب المتأخرة فى حين تنسب لأشعب فى كتب قديمة نسبيًّا.

قال أشعب: "جاءتنى جارية بدينار وقالت: هذا وديعة عندك، فجعلته بين ثنى الفراش. فجاءت بعد أيامٍ وقالت: بأبى أنت! الدينار، فقلت: ارفعى فراشى وخذى ولده فإنه قد ولد، وكنت قد تركت إلى جنبه درهمًا، فأخذت الدرهم وتركت الدينار.

وعادت بعد أيامٍ فوجدت معه درهمًا آخر فأخذته، وفى الثالثة كذلك. وجاءت فى الرابعة، فلما رأيتها بكيت، فقالت: ما يبكيك؟ قلت: مات دينارك فى النفاس. فقالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟ قلت: يا فاسقة! تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس!"[2].

وخلال قيام أشعب بحيله يبدو شديد الذكاء، يوقع فرائسه فى حيله، ويتخلص بسعة الحيلة من بعض المخاطر التى يمكن أن يتعرض لها، كما نرى فى هذه النادرة.

"كان لزياد بن عبد الله الحارثى جدى لا يمسه أحد، فعشى فى شهر رمضان قومًا فيهم أشعب، فعرض أشعب يومًا للجدى من بين القوم.

---

(١) عبد الستار فراج: أخبار جحا. مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ط٣، ص٧٢- ٧٣.

(٢) نهاية الأرب، ٢٧/٤- ٢٨، و انظر أيضًا: نثر الدر، ٣١٦/٥.

فقال زياد حين رُفِعت المائدة: أما لأهل السجن إمام يصلى بهم؟ قالوا: لا، قال: فليصلِّ بهم أشعب. قال أشعب: أوغير ذلك أيها الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: لا آكل لحم جدى أبدًا"[1].

وبسعة حيلته ينجو من المواقف المحرجة، والتى قد تضطره للإنفاق أو لإقراض غيره مالاً دون رغبة منه كما نرى فى هذه النادرة.

"وسأل رجلٌ أشعب أن يسلفه ويؤخره، فقال: هاتان حاجتان، فإذا قضيت لك إحداهما فقد أنصفت. قال الرجل: رضيت.

قال: فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك!"[2].

والحكاية التى سوف نعرضها الآن تدل على مهارة أشعب الكبيرة فى صنع الحيل، وإتقان تمثيلها مع أبان بن عثمان بن عفان، وهى حكاية جديرة بأن تصاغ فى شكل مسرحية قصيرة وتمثّل؛ لأن بها عناصر دراما قوية؛ ولأنها مشحونة بالفكاهة، مع الأخذ فى الاعتبار بحذف مايشين بعض الصحابة وأبنائهم فيها، والأفضل أن تستبدل أسماء أخرى بالأسماء التى بها باستثناء شخصية أشعب.

روى بعضهم: "كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم، وبلغ من عبثه أنه كان يجىء بالليل إلى منزل رجل فى أعلى المدينة له لقب يغضب منه فيقول له: أنا فلان بن فلان، ثم يهتف بلقبه، فيشتمه أقبح شتم وأبان يضحك.

---

(١) عيون الأخبار، ٢٨٤/٣، وانظر أيضًا: البخلاء للجاحظ، ص١٤٩، وجمع الجواهر، ص٣٦١-٣٦٢، ووردت النادرة فى الأغانى، ١٤١/١٩، بصورة مختلفة قليلاً عن المصادر السابقة، والأغانى، ١٥١/١٩، والبخلاء للخطيب البغدادى، ص٦٧.

(٢) العقد الفريد، ١٣٥/٨.

فبينما نحن ذات يوم عنده – وعنده أشعب – إذ أقبل أعرابى ومعه جمل له، والأعرابى أشقر أزرق أزعر غضوب يتلظى كأنه أفعى، ويتبين الشر فى وجهه ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أشعب لأبان: هذا والله من البادية ادعوه، فدعى وقيل له: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان عن نسبه فانتسب له، فقال: حياك الله يا خالى، حبيب ازداد حبًّا، فجلس، فقال له: إنى فى طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة، وهذه القامة، واللون، والصدر، والورك، والأخفاف، فالحمد لله الذى جعل ظفرى به من عند من أحبه، أتبيعه؟ فقال: نعم أيها الأمير، فقال: فإنى قد بذلت لك به مائة دينار – وكان الجمل يساوى عشرة دنانير – فطمع الأعرابى وسر وانتفخ، وبان السرور والطمع فى وجهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب! إن خالى هذا من أهلك وأقاربك – يعنى فى الطمع – فأوسع له مما عندك. فقال له: نعم بأبى أنت وزيادة.

فقال له أبان: يا خالى، إنما زدتك فى الثمن على بصيرةٍ وإنما الجمل يساوى ستين دينارًا، ولكن بذلت لك مائة لقلة النقد عندنا، وإنى أعطيك به عُروضًا تساوى مائة، فزاد طمع الأعرابى وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسرَّ إلى أشعب، فأخرج شيئًا مغطًّى فقال له: أخرج ما جئت به، فأخرج جَرْدَ عمامة خَزٍّ خَلَقٍ تساوى أربعة دراهم، فقال له: قومها يا أشعب، فقال له: عمامة الأمير تعرف به، ويشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء؛ خمسون دينارًا. فقال: ضعها بين يديه. وقال لابن زَبَنْج، أثبت قيمتها.

فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدى الأعرابى، فكاد يدخل بعضه فى بعض غيظًا، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هات قلنسوتى، فأخرج قلنسوة طويلة خَلَقة قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت، تساوى نصف درهم، فقال: قوم، فقال: قلنسوة الأمير تعلو هامته ويصلى فيها الصلوات الخمس، ويجلس للحكم؛ ثلاثون دينارًا. قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدى الأعرابى، فتربَّدَ وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو مُتَقَلْقِل.

ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا، فقال له: قَوِّمْ، فقال: خفًّا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبى ﷺ؛ أربعون دينارًا. فقال: ضعهما بين يديه فوضعهما.

ثم قال للأعرابى: اضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امض مع الأعرابى فاقبض منه ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون دينارًا، فوثب الأعرابى فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألُو فى شدة الرمى به، ثم قال له: أتدرى أصلحك الله من أى شىء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله فى دمه إذ ولد مثلك.

ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط وضحك كل من كان معه.

وكان الأعرابى بعد ذلك إذا لقى أشعب يقول له: هلم إلىَّ يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم، فيهرب أشعب منه"[1].

---

(١) الأغانى، ١٩/١٧٦- ١٧٨، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٤/٣٤- ٣٦.

وها هو ذا موقف آخر لأشعب يحتال فيه، ويمثل ويجيد فى التمثيل حتى إنه ليوهم من حوله أنه جادّ فى قوله وفعله.

"لقى أشعب سالم بن عبد الله بن عمر فقال: يا أشعب، هل لك فى هَرِيس قد أعد لنا؟ قال: نعم، بأبى أنت وأمى. قال: فصر إلىّ، فمضى إلى منزله، فقالت له امرأته: قد وجه إليك عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك. قال: ويحك، إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعانى إليها، وعبد الله بن عمرو فى يدى متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فَلْتَة، وليس لى بد من المضى إليه. قالت: إذًا يغضب عبد الله، قال: آكل عنده، ثم أصير إلى عبد الله.

فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكل متعالل فقال له: كل يا أشعب وابعث ما فضل عنك إلى منزلك، قال: ذاك أردت بأبى أنت وأمى، فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحمله ومضى معه به فجاء امرأته فقالت له: ثكلتك أمك، قد حلف عبد الله أن لا يكلمك شهرًا، قال: دعينى وإياه، هاتى شيئًا من زعفران، فأعطته ودخل الحمام يمسح على وجهه ويديه وجلس فى الحمام حتى صفَّره، ثم خرج متكئًا على عصا يرعد.

حتى أتى دار عبد الله بن عمرو. فلما رآه حاجبه قال: ويحك، بلغت بك العلة ما أرى؟ ودخل وأعلم صاحبه فأذن له. فلما دخل عليه إذا سالم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد فى الرِّعْدة ويقارب الخطو، فجلس وما يقدر أن يستقلّ، فقال عبد الله: ظلمناك يا أشعب فى غضبنا عليك، فقال له سالم: ما لك ويلك! ألم تكن عندى آنفًا وأكلت هريسة؟ فقال له: وأى أكل ترى بى؟ قال: ويلك! ألم أقل لك كيت وتقل لى كيت وكيت؟ قال له: شُبِّه

لك، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله إنى لأظن الشيطان يتشبه بك. ويلك! أجاد أنت؟ قال: علىَّ وعلىَّ إن كنت خرجت منذ شهر.

فقال له عبد الله: أعزب ويحك أتبهته، لا أم لك! قال: ما قلت إلا حقًّا، قال: بحياتى اصدقنى وأنت آمن من غضبى، قال: لا وحياتك لقد صدق. ثم حدثه بالقصة فضحك حتى استلقى على قفاه"[1].

ونظن أن أشعب بهذا هو أعظم مضحك عرفه العرب قديمًا أجاد فن التمثيل، وصناعة الحيل المضحكة، وها هى ذى حكاية نختم بها حديثنا عن أشعب وحيله الطريفة وتمثيله الهزلى خلالها.

"غذا أشعب جديًا بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية ومن مبالغته فى ذلك أن قال لزوجته: أى ابنة وَرْدان، إنى أحب أن ترضعيه بلبنك ففعلت، ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد، فقال: بالله إنه لابنى، قد رضع بلبن زوجتى وقد حبوتك به، ولم أر أحدًا يستأهله سواك، فنظر إسماعيل إلى فتيةٍ من الفتن فأمر به فذُبح وسُمط، فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندى والله اليوم شىء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائتٍ لك.

فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أَخْلنى، قال: ما معنا أحد يسمع ولا عين عليك، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابنى فذبحه وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر وصاح: ويلك! وفيم؟ وتريد ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله ما لى فى إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدًا بعدك.

---

(١) الأغانى، ١٩/١٦١- ١٦٢، وأيضًا انظر: نهاية الأرب، ٤/٣١- ٣٢.

فجزاه خيرًا وأدخله منزله، وأخرج إليه مائتى دينارٍ وقال له: خذ هذه ولك عندنا ما تحب، وخرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسِّل فى مجلسه. فلما رأى وجه أبيه نكره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أوفعلتها بأشعب؟ قتلت ولده، فاستضحك وقال: جاءنى بجدى من صفته كذا، وخبره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه وصار إليه.

فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتنى رعبك الله فيقول: روعة ابنك والله إياى فى الجدى أكبر من روعتك أنت فى المائتى الدينار"[1].

وكان أبو دلامة واسع الحيلة أيضًا، ويستطيع بحيله الطريفة أن يتخلص من أصعب المواقف، كما نرى فى هذه الحكاية التى يتخلص فيها بحسن حيلته من أن يزج به فى معركة، وهو لا يجيد شيئًا سوى إضحاك الناس بشعره وتعليقاته ومواقفه المضحكة.

"قال المنصور يومًا لأبى دلامة: سل حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن أبا العباس قد كان أمر لى بعشرة آلاف درهمٍ وهو مريض ولم أقبضها فقال المنصور: ومن يعلم ذلك؟ قال: هؤلاء كلهم، وأشار إلى جماعةٍ ممن حضر.

فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم. فقالا: نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبى أيوب المورياني: ادفعها إليه وسيره إلى هذا الطاغية – يعنى عبد الله بن علىّ، وكان قد خرج وأظهر الخلاف عليه بناحية الشام، وجمع جمعًا كثيرًا من بقايا بنى أمية وقوادهم، وأهل البأس والنجدة.

---

(١) الأغانى، ١٩/١٤٨- ١٤٩، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٤/٢٨- ٢٩.

فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين؛ إنى أعيذك بالله أن أخرج معهم، فإنى والله مشئوم. فقال المنصور: إن يمنى يغلب شؤمك، فاخرج مع الجيش.

فقال: والله ما أحب يا أمير المؤمنين، ولا أرى أن تجرب؛ فإنى لا أدرى على أى المنزلتين تكون، فقال: دعنى فلا بد من مسيرك. فقال: يا أمير المؤمنين، والله لأصدقنك، إنى حضرت تسعة عساكر هزمتها كلها، وإن شئت بينتها لك.

فاستفرغ المنصور ضحكًا، وأمره بالتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة"[1].

وحتى إن اضطر أبو دلامة للخروج للقتال يستخدم سعة الحيلة عنده حتى لا يقتله فارس قوى خرج إليه من الخوارج، وخلال قيامه بحيلته الطريفة هذه يضحك كل من حوله من الجنود فى طرفى المعركة.

"وعن جعفر بن حسن اللهبىّ قال: حدثنى أبو دلامة، قال: أتى بى المنصور أو المهدى وأنا سكران فحلف ليخرجنى فى بعث حرب فأخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى[2] لقتال الشُّراة.

فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرًا ترتضيه، فضحك وقال: والله العظيم

---

(١) جمع الجواهر، ص١٠٨- ١٠٩، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٤٠/٤.

(٢) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدى: أمير من الأجواد الممدوحين. كان حاجبًا للمنصور العباسى وولاه المهدى بن المنصور السند. ثم نقله إلى البصرة فالكوفة وولاه الرشيد على فلسطين، ثم أرسله واليًا على القيروان بعد موت أخيه فيها، وظل واليًا عليها حتى مات سنة ١٧١هـ ودفن فيها إلى جوار أخيه، وكان موصوفًا بالعلم والشجاعة والحزم. انظر: الأعلام، ٣٤/٣.

لأدفعن إليك ذلك ولآخذنك بالوفاء بشرطك، فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك إلىّ ودعا بغيره فاستبدل به.

فلما حصل ذلك فى يدى قلت: أيها الأمير هذا مقام العائذ بك، وقد قلت أبياتًا فاسمعها، قال: هات فأنشدته:

إنى استجرتك أن أُقَدَّمَ فى الوغى ... لتطاعنٍ وتنازلٍ وضرابِ

فهب السيوف رأيتها مشهورةً ... وتركتها ومضيت فى التهرابِ

ماذا تقول لما يجىءُ ولا يرى ... من بادرات الموت بالنشَّابِ

فقال: دع هذا عنك، وبرز رجل من الخوارج يدعو إلى المبارزة فقال: اخرج إليه يا أبا دلامة، فقال: أنشدك الله أيها الأمير فى دمى، فقال: والله لتخرجنّ، فقلت: أيها الأمير، فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما تنبعث منى جارحة من الجوع فمر لى بشىء آكله ثم أخرج.

فأمر لى برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف، فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فاقفعل وعيناه تقدان فأسرع إلىّ، فقلت: على رسلك يا هذا! فوقف فقلت: أتقتل من لا يقاتلك؟ قال: لا، قلت: أتستحل أن تقتل رجلاً على دينك؟ قال: لا، قلت: أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك؟ قال: لا، فاذهب عنى إلى لعنة الله، فقلت: لا أفعل أو تمسع منى، قال: قل، فقلت: هل كانت بيننا عداوة أو تِرَةٌ أو تعرفنى بحالٍ تحفظك علىّ أو تعلم بينى وبين أهلك وِتْرًا؟ قال: لا والله، قلت: ولا أنا والله لك إلا على جميلٍ، فإنى

لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادك، فقال: يا هذا جزاك الله خيرًا فانصرف، قلت: إن معى زادًا أريد أن آكله وأريد مؤاكلتك لتتوكد المودة بيننا ويرى أهل العسكرين هوانهم علينا، قال: فافعل.

فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل والناس قد غلبوا ضحكًا، فلما استوفينا ودعنى ثم قلت له: إن هذا الجاهل، إن أقمت على طلب المبارزة ندبنى إليك فتتعب وتتعبنى، فإن رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل، قال: قد فعلت، فانصرف وانصرفت، فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قِرْنى فقل لغيرى يكفيك قرنه كما كفيتك، وخرج آخر يدعو إلى البراز فقال لى: اخرج إليه، فقلت:

إنى أعوذ برَوْحٍ أن يُقَدِّمَنِى ... إلى القتال فتخزى بى بنو أسدِ

إن البراز إلى الأقرانِ أعلمُه ... مما يفرِّق بين الروح والجسد

قد حالفتك المنايا إذ رصدتَ لها ... وأصبحتْ لجميع الخلق كالرصد

إن المهلب حُبَّ الموت أورثكم ... وما ورثت اختيار الموت عن أحد

لو أن لى مهجةً أخرى لجدتُ بها ... لكنها خلقت فردًا فلم أجد"[1].

ودائمًا يتفتق ذهن أبى دلامة عن حيل طريفة حين رغبته فى نيل عطاء الخلفاء، وكبار رجال الدولة العباسية، وفى هذا الخبر نراه يصطنع

---

(١) نهاية الأرب، ٤/٤٠- ٤٢، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص١١٨، وجمع الجواهر، ص١٠٠.

حيلة طريفة، لنيل الكثير من المال من الخليفة أبى جعفر المنصور المعروف ببخله.

"ودخل أبو دلامة يومًا على المنصور وبين إصبعيه خرقةٌ، فقال له: ما هذا يا أبا دلامة؟ فقال: ولدت لى البارحة صبية وقد قلت فيها:

فمـا ولـدتك مـريم أم عيسـى ولم يكفلـك لقمـان الحكـيم

ولكـن قـد وُلـدتِ لأم سـوء يقـوم بأمرهـا بعـل لئـيم

فضحك المنصور وقال: ما تريد؟ قال: ملء هذه الخرقة أستعين بها على تربيتها. فقال المنصور: املئوها دراهم، ففتحوها فإذا هى رداء رقيق كبير، فملئوه، فأخذ عشرة آلاف درهم.

وكان المنصور بخيلاً، وإنما كان أبو دلامة يستنزله بالملح لشدة بخله، فقد كان يتجاوز الغاية فى ذلك"[1].

وها هى ذى نادرة نرى فيها أبا دلامة يقوم بعمل حيلة أخرى طريفة، من خلال ادعائه أنه رأى فى المنام المنصور يعطيه مالاً، ويعلم المنصور كذب أبى دلامة، ومع ذلك تعجبه حيلته الطريفة، ويجيزه بالمال.

"ودخل أبو دلامة يومًا على أبى جعفر المنصور فأنشده:

إنـى رأيتُـك فـى المنـا مِ وأنـت تعطينـى خيـارَهْ

مملـوءةً بـدراهم وعليـك تأويـل العبـارهْ

(١) جمع الجواهر، ص١٠٢.

فقال له المنصور: امض فأتنى بخيارة أملؤها لك دراهم. فمضى فأتى بأعظم دُبَّاءة توجد.

فقال: ما هذا؟ قال: يلزمنى الطلاق إن كنت رأيت إلا دباءة، ولكنى نسيت. فلما رأيت الدباءة فى السوق ذكرتها"[1].

ولعله لا حيلة أطرف من هذه الحيلة التى يقوم بها أبو دلامة مع الخليفة المهدى، فينال منه عطايا كثيرة، ومع أنه لم يسأله فى البداية سوى أن يعطيه كلب صيد – وتعجب الخليفة من طلبه هذا الغريب، وقد قال له: تمنّ علىّ – ولكن أبا دلامة من خلال طلبه هذا الكلب يطلب من الخليفة أشياء أخرى تتعلق بالكلب حتى يحصل على عطايا كثيرة بحسن حيلته، كما نرى هنا.

قال له المهدى: تمنَّ. فقال: يا أمير المؤمنين؛ تأمر لى بكلب صيد، فقال: يابن الفاعلة، وما تصنع به؟ فقال: إن كانت الحاجة لى فليس لك أن تعرَّضَ فيها. فقال: صدقت أعطوه كلبًا، فأعطى. فقال: يا أمير المؤمنين، لا بد لهذا الكلب من كلاَّبٍ. فأمر له بغلام مملوك.

فقال: يا أمير المؤمنين، أويتهيأ لى أن أصيد راجلاً؟ فقال: أعطوه دابة، فقال: ومن يسُوسُ الدابة؟ فقال: أعطوه غلامًا سائسًا. فقال: ومن ينحر الصيد ويصلحه؟ فقال: أعطوه طباخًا. فقال: ومن يأويهم؟ فقال: أعطوه دارًا، فبكى أبو دلامة وقال: ومن يمون هؤلاء كلهم؟ فقال: يكتب له إلى البصرة بمائة جريب عامرة، ومائتى جريب غامرة. فقال: وما الغامرة؟

---

(١) المصدر السابق، ص١٠١.

قال: التى لا نبات فيها. قال: فأنا أعطيك مائتى ألف جريب من فيافى بنى أسد.

فضحك وقال: ما تريد؟ قال: بيت المال. قال: على أن أخرج المال منه. قال: فإذًا يصير غامرًا، فاستفرغ ضحكًا وقال: اذهب فقد جعلناها لك كلها عامرة.

فقال: يا أمير المؤمنين؛ ائذن لى أن أقبل يدك، قال: أما هذه فدعها. فقال: والله ما تمنع عيالى شيئًا أهون عليهم من هذا، فناوله يده فقبلها"[1].

وكان أبو دلامة يستخدم حيله أيضًا مع كبار رجال الدولة لينال عطاياهم كما استخدمها مع الخلفاء – كما رأينا فى المواقف السابقة – وفى الرواية التالية نراه يستخدم حيلة طريفة يأخذ من خلالها بعض النقود من يزيد بن مزيد[2].

"وعرض أبو دلامة ليزيد بن مزيد، وهو قادم من الرىّ، فأخذ بعنان فرسه وأنشد:

إنى نذرتُ لئن رأيتُكَ سالمًا بقرى العراق وأنت ذو وَفْرِ

لَتُصَلِّيَنَّ على النبىّ محمدٍ ولتملأنَّ دراهمًا حجرِى!

---

(١) جمع الجواهر، ص١١١، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص١١٩ – ١٢٠، والأذكياء، ص١١٨- ١١٩، والعقد الفريد، ١٤٢/٨.

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان، كان واليًا بأرمينية وأذربيجان. وانتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيبانى عظيم الخوارج فى عهده، فقتل ابن طريف سنة (١٧٩هـ) وعاد إلى أرمينية، وكان فيما وليه اليمن، وأخبار شجاعته وكرمه كثيرة، وتوفى بأذربيجان سنة ١٨٥هـ، ورثاه كثير من الشعراء. انظر: الأعلام، ١٨٨/٨.

فقال له: أما الصلاة على محمد فصلى الله على محمدٍ، وأما الدراهم فإلى أن أرجع إن شاء الله.

فقال له: لا تفرق بينهما، لا فرق الله بينك وبين محمد فى الجنة! فاقترضها من أصحابه وصبها فى حجره حتى أثقلته"[1].

وأحيانًا تشارك أم دلامة زوجها أبا دلامة فى الاحتيال الطريف من أجل نيل النقود كما نرى فى هذه النادرة.

"دخل أبو دلامة على المهدى وهو يبكى. فقال له: ما لك؟ قال: ماتت أم لادمة، وأنشده لنفسه فيها:

وكنا كزوج من قطا فى مَفَازةٍ ... لدى خفض عيشٍ ناعمٍ مُؤنق رغد

فأفردنى ريبُ الزمان بصرفه ... ولم أر شيأ قط أوحشَ من فردِ

فأمر له بثياب وطيبٍ ودنانير، وخرج. فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك، وخرجت. فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه"[2].

وكذلك مزيد مضحك واسع الحيلة، ويكشف بذكائه وسعة حيلته حيل البخلاء معه، ولا تنطلى عليه أساليبهم فى خداع من يتعاملون معهم، وفى الرواية التالية نراه يكشف حيلة بخيل بأسلوب طريف مضحك.

---

(١) العقد الفريد، ١٤٢/٨.

(٢) الأغانى، ٢٥٥/١٠.

"استأذن مزبد على بعض البخلاء وقد أُهدى له تين فى أول أوانه. فلما أحس بدخوله تناول الطبق، فوضعه تحت السرير، وبقيت يده معلقة، ثم قال لمزبد: ما جاء بك فى هذا الوقت؟ قال: يا سيدى، مررت الساعة بباب فلان، فسمعت جاريته تقرأ لحنًا ما سمعت قط أحسن منه. فلما علمت من شدة محبتك للقرآن، وسماعك للألحان، حفظته، وجئت لأقرأه عليك.

قال: فهاته، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ﴾[1]. فقال: ويلك! أين التين؟ قال: تحت السرير!!"[2].

وأيضًا نرى مزبدًا فى نادرة يحتال على أعرابى يتغدّى معه، فيلهيه بالكلام حتى ينفرد هو بأكل أكثر الطعام.

"تغدى أعرابى مع مزبدٍ، فقال له مزبد: كيف مات أبوك؟ فأخذ يحدثه بحاله وأخذ مزبد يمضى فى أكله.

فلما فطن الأعرابى، قطع الحديث، وقال له: أنت! كيف مات أبوك؟ فقال: فجأةً وأخذ يأكل"[3].

ومزبد محتال ذكى جرئ، يسعه بحسن حيلته أن يخدع من حوله، ويبيع لهم الوهم دون أن يناله عقاب، كما نرى فى هذه النادرة.

---

(١) سورة التين، من الآيتين ١، ٢.

(٢) نثر الدر، ٣/٢٣٣- ٢٣٤، ووردت النادرة فى كتاب البخلاء للخطيب البغدادى، ص٥٩، منسوبة لغير مزبد.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٠٣.

باع مزبد "جارية على أنها طباخة، ولم تحسن شيئًا فردت، فلم يقبلها، وقُدِّمَ إلى القاضى، وطولب بأن يحلف أنه ملكها وكانت تطبخ وتحسن.

فاندفع وحلف بيمينٍ غليظةٍ أنه دفع إليها جرادةً فطبخت منها خمسة ألوان وفَصَّلَتْ منها شريحتين بالقديد سوى الجنب، فإنها شوته.

فضحك من حضر، وأيس خصومه من الوصول منه إلى شىءٍ فخلَّوه"[1].

والمضحك لا تنطلى عليه حيل غيره، بل إنه – فى الغالب – يكشفها، ويرد على من قام بها بالسخرية منه بأسلوب ظريف، كما نرى أبا العيناء فى هذه الحكاية الطريفة لا ينخدع بحيلة الجاحظ، بل إنه ينتقم من الجاحظ حين واجهه بحيلته التى كشفها وأبطل مفعولها.

"وسأل أبو العيناء الجاحظ كتابًا إلى محمد بن عبد الملك[2] فى شفاعةٍ لصاحبٍ له، فكتب الكتاب، وناوله الرجل، فعاد به إلى أبى العيناء، وقال: قد أسعف. قال: فهل قرأته؟ قال: لا؛ لأنه مختوم.

---

(١) نثر الدر، ٢٤٤/٣.

(٢) كان والدمحمد بن عبدالملك الزيات من التجار المياسير، وانتقل محمد من العمل بالتجارة للوزارة سنة ٢٢٥هـ فى خلافة المعتصم، وظل فى منصبه خلال خلافة الواثق وفترة من خلافة المتوكل، ثم عزله المتوكل وعذبه حتى الموت سنة ٢٣٣هـ. انظر: الأغانى، ٤٦/٢٣، وزهر الآداب، ٧٨٥/٢، ٧٨٦، وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. قدَّم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ٢٩٦/٢، وابن النديم: الفهرست تحقيق: رضا تجدَّد، بيروت، دار المسيرة، ط٣، ١٩٨٨م، ص٢٠٨.

قل: ويحك، فض طينةٍ أولى من حمل ظنةٍ، لا يكون صحيفة المُتَلَمِّس؛ ففض الكتاب، فإذا فيه: مُوصِل كتابى سألنى فيه أبو العيناء، وقد عرفت سفهه وبذاء لسانه، وما أراه لمعروفك أهلاً، فإن أحسنت إليه فلا تحسبه علىّ يدًا، وإن لم تحسن لم أعتده عليك ذنبًا والسلام.

فركب أبو العيناء إلى الجاحظ، وقال له: قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان، فخجل الجاحظ، وقال: يا أبا العيناء، هذه علامتى فيمن أعتنى به. قال: فإذا بلغك أن صاحبى قد شتمك فاعلم أنه علامته فيمن شكر معروفه"[1].

قيام المضحك بأفعال غريبة

وكثيرًا ما نرى المضحكين يقومون بأفعال غريبة بعضها لا يتفق مع المنطق والعقل، وبعضها يخالف العرف أو الشرع، ولعلهم لم يقوموا بهذه الأفعال – أو بعضها – إلا لإضحاك من حولهم، وحتى تشيع عنهم هذه التصرفات فتكون مادة للضحك، وتزداد شهرتهم فى عالم الضحك، ولعلهم أيضًا يقومون بهذه الأفعال والتصرفات؛ لأن لهم نظرة مختلفة للأمور تتفق مع مواهبهم الكبيرة فى إضحاك الناس.

وها هو ذا أشعب نراه يقوم بتصرف غريب فى هذه الرواية.

"دخل أشعب يومًا على الحسين بن علىّ وعنده أعرابى قبيح المنظر مختلف الخِلقة، فسبح أشعب حين رآه، وقال للحسين عليه السلام: بأبى أنت وأمى، أتأذن لى أن أسلح عليه؟

---

(١) نثر الدر، ٣/٢٠٣- ٢٠٤، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٢٠٤.

فقال الأعرابى: ما شئتَ، ومع الأعرابى قوس وكنانة، ففوق له سهمًا وقال: واللّه لئن فعلت لتكونن آخر سلحةٍ سلحتها، قال أشعب للحسين: جعلت فداءك، قد أخذنى القولنج"[1].

وأيضًا أبو نواس الشاعر الكبير كان – كما قلنا من قبل – أحد الظرفاء المضحكين فى الوقت نفسه؛ ولهذا يقوم فى إحدى النوادر بتصرف غريب مضحك، لعله أوحى لسعد اللّه ونوس بتأليف مسرحية مغامرة رأس المملوك جابر[2]، فعقدتها تتفق – إلى حد ما – مع مضمون هذه النادرة.

"وقال الجماز: أراد أن يكتب أبو نواس إلى إخوانٍ له دعاهم، فلم يجد قرطاسًا يكتب فيه! فكتب فى رأس غلام له أصلع ما أراد، ثم قال فيه: فإذا قرأتم كتابى، فاحرقوا القرطاس. فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه"[3].

وحين يرى المضحك من حوله يسيئون التصرف فى بعض الأشياء، يقوم برد فعل غريب مضحك لينبههم إلى أخطائهم، كما نرى مزبدًا ينبه زوجته لخطأ وقعت فيه بفعله الغريب الذى نراه فى هذه النادرة.

"وضعت امرأته المنخل على فراشه، فجاء فلما رآه تعلق بوتد كان فى داره، فقالت امرأته: ما هذا؟

قال: وجدت المنخل فى موضعى، فصرت فى موضعه"[4].

---

(١) القولنج: مرض معدٍ مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح، وانظر النادرة فى: الأغانى، ١٩/ ١٥٣، ونهاية الأرب، ٢٩/٤، ونثر الدر، ٣١٩/٥.

(٢) سعد اللّه ونوس: مغامرة رأس المملوك جابر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

(٣) جمع الجواهر، ص٢٤٩.

(٤) نثر الدر، ٢٤١/٣.

وتبدو طريقة تعامل مزبد مع غلام له طريفة، فهو متفق معه على علامات لتبشيره بأمر طيب أو لإخباره بشر قد وقع فوق رأسه.

"كان لمزبد غلام، وكان إذا بعثه فى حاجةٍ جعل بينه وبينه علامةً، أن يكون إذا رجع سأله فقال: حنطة أو شعير، فإن كان عاد بالنجح قال: حنطة، وإن لم يقض الحاجة قال: شعير.

فبعثه يومًا فى حاجةٍ. فلما انصرف قال: حنطة أم شعير؟ قال: خرا. قال: ويلك! وكيف ذلك؟ قال: لأنهم لم يقضوا الحاجة، وضربونى وشتموك"[1].

ولا يستحى مزبد من أن يقوم بأفعال دنيئة كالقوادة فى الجمع بين العشيق وعشيقته فى بيته، فى سبيل المال، كما نرى فى هذه النادرة.

"جمع مزبد بين رجل وعشيقته فى منزله، فعابثها ساعة، ثم أراد أن يمد يده إليها، فقالت: ليس هذا موضعه.

وسمع مزبد قولها فقال: يا زانية، فأين موضعه؟ بين الركن والمقام، أم بين القبر والمنبر؟ والله ما بنيت هذه الدار إلا للقحاب والقوادات، ولا دفع ثمن خشبها إلا من القمار، فأى موضع للزنى أحق منها؟"[2].

كذلك لا يستحى الجماز من أن ينسب لنفسه العمل بالقوادة حين انقطعت شهوته عن النساء، كما فى هذه النادرة.

"قيل للجماز: ما بقى من شهوتك للنساء؟ قال: القيادة عليهن"[3].

---

(١) المصدر السابق، ٢٤٢/٣.

(٢) نثر الدر، ٢٤٤/٣، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٢٤/٤- ٢٥.

(٣) البصائر والذخائر، ١٩٨/٥.

تهاون المضحك فى أمور العبادة

أغلب المضحكين نراهم يتهاونون فى أمور العبادة، بل إن منهم من يتجرأ على المقدس من الدين فيستبيح الحرام، أو ينقد بعض أمور الدين بجرأة، ولعل من أسباب هذا انسياقه وراء الدعابة حتى لو كان الطريق إليها مخالفة أوامر الدين أو التجرأ على أحكامه وشرائعه.

كما أن بعض هؤلاء المضحكين كانوا مستهترين فى أداء عبادات الإسلام، فمنهم من كان لا يصلى أو لا يواظب على الصلاة، ومنهم من كان يعاقر الخمر، جريًا وراء الاستمتاع بالحياة والانعتاق من كل التكاليف بما فيها أوامر الدين ونواهيه.

إذًا فقد كان أكثر المضحكين يتحللون من أوامر الدين انسياقًا مع مذهبهم فى الاستمتاع بكل متع الحياة المباح منها وغير المباح، اتباعًا لمذهب اللذة؛ ولأنهم كانوا يرون أنهم لن يكونوا فى أحسن أحوالهم لإضحاك الناس إلا إذا تصرفوا بحرية كاملة فى حياتهم دون أى قيود مهما كانت.

فهذا أشعب لا يحفظ الأحاديث الشريفة، بل يحرص على حفظ النوادر ليضحك بها من حوله، وينتقد فى هذا من بعض الناس فلا يسعه إلا أن يرد عليهم بأسلوب مضحك يؤكد به أنه لا يعرف غير صناعته فى إضحاك الناس.

"قيل لأشعب لو أنك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر لكان أولى بك. قال: قد فعلتُ. قالوا له: فما حفظت من الحديث؟ قال: حدثنى نافع عن ابن عمر عن النبى.

قال: "من كان فيه خصلتان كتب عند الله خالصًا مخلصًا"، قالوا: إن هذا حديث حسن؟ فما هاتان الخصلتان؟ قال: نسى نافع واحدة! ونسيت أنا الأخرى!"[1].

ونظن أن أبا دلامة كان من أكثر المضحكين الذين تمردوا على أوامر الدين ونواهيه[2]، فهو كان مشهورًا بمعاقرة الخمر حتى بين الخلفاء الذين قربوه منهم، وطالما عوقب على شربها، ولكنه مع ذلك كان لا يتوقف عن شربها، وذات مرة قبض عليه وهو سكران ورائحة الخمر فى فمه فأمر المهدى بعقابه، فعوقب عقابًا يتفق مع شخصيته كمضحك فحبس فى بيت الدجاج، ثم أقيم عليه الحد بعد ذلك[3].

ويروى عن ابن أبى مريم المدنىّ ما يدل على ضعف تدينه[4].

وكان مزبد أيضًا ضعيف التدين كما يظهر لنا هذا نوادر عديدة تروى عنه، كهذه النوادر التى نعرضها هنا.

"وقيل له: صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة.

فصام إلى الظهر ثم أفطر فقال: يكفينى صوم نصف سنةٍ فيه شهر رمضان"[5].

* * *

(١) العقد الفريد، ٨/١٣٤- ١٣٥.

(٢) فيقال عن أبى دلامة إنه كان "ردئ المذهب، مرتكبًا للمحارم، مضيعًا للفروض، متجاهرًا بذلك، وكان يعلم هذا منه، ويعرف به، فيتجافى عنه للطف محله". انظر: نهاية الأرب، ٤/٣٧.

(٣) انظر: جمع الجواهر، ص١١٣- ١١٤، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٤/٤٢- ٤٤.

(٤) انظر: تاريخ الطبرى، ٨/٣٤٩.

(٥) نثر الدر، ٣/٢٤٤.

"ومر رجل بمزبدٍ وهو جالس يتفكر، فقال له: فى أى شىء تتفكر؟ قال: فى الحج، قد عزمت عليه السنة.

قال: فما أعددت له؟ قال: التلبية، فما أقدر على غيرها"[1].

ويبدو أن جرأة مزبد – وغيره من بعض المضحكين – على المقدس كانت من ضمن وسائله للإضحاك، ومعروف أن الجرأة على المقدس إحدى وسائل الإضحاك المعروفة فى عالم الكوميديا والفكاهة[2]، وها هى ذى نادرة أخرى تدل على ضعف تدين مزبد.

"وهبت بالمدينة ريح صرصر، أنكرها الناس وفزعوا، فجعل مزبد يدق أبواب جيرانه ويقول: لا تعجلوا بالتوبة، فإنما هى – وحياتكم – زوبعة، وسوف تنكشف الساعة"[3].

وما دام الكثير من المضحكين يتصفون بضعف تدينهم، وبجرأة بعضهم على المقدس، فبالضرورة لا يأخذ بشهادتهم عند القضاة كما نرى فى هذه النادرة عن مزبد.

"وادعى رجل عليه شيئًا، وقدمه إلى القاضى، فأنكره، وسأله إقامة البينة، فقال: ليس لى بينة. قال: فأستحلفه لك؟ قال: وما يمين مزبد أصلحك الله؟

فقال مزبد: ابعث، أصلحك الله، إلى ابن أبى ذئب فاستحلفه له"[4].

---

(١) أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٣٨.

(٢) انظر فى هذا: علم المسرحية، ص٣١٣.

(٣) نثر الدر، ٢٣٨/٣.

(٤) المصدر السابق، ٢٣٢/٣.

عدم إخلاص المضحك فى حبه للمرأة

وأغلب المضحكين لا يحبون حبًّا عذريًّا عفيفًا، بل إنهم – فى الغالب – يحبون المرأة حبًّا حسيًّا، وتشغلهم بعض غرائزهم الأخرى عن الحب، كحب بعضهم للطعام. وتكون المرأة عند بعض هؤلاء المضحكين وسيلة لتحقيق بعض أغراضهم، وهم فى كل الأحوال لا يصدقون فى حبهم ولا يخلصون لمن يحبونهن من النساء.

فهذا أشعب المشهور بالطمع والطفيلية، كان يعشق الطعام والتطفيل أكثر من عشقه لأى امرأة، وأحيانًا يعشق المرأة لا لنفسها بل لأنها تقدم له ما يشتهيه من ألوان الطعام التى يحبها، وإذا طلبت منه المرأة شيئًا يقدمه لها على سبيل الهدية نفر منها، مما يدل على أنه لم يكن مخلصًا لها فى حبه، ولم يحبها لنفسها على الإطلاق، كما نرى فى هذه النادرة.

"وكان أشعب يعشق امرأة بالمدينة ويتحدث فيها حتى عرف بها، فقال لها جاراتها: لو سألته شيئًا.

فأتاها يومًا فقالت: إن جاراتى يقلن ما يصلك بشىءٍ. فخرج عنها ولم يقربها شهرين. ثم أتاها فأخرجت له قدحًا فيه ماء، فقالت له: اشرب هذا للفزع! فقال: بل أنت اشربيه للطمع. ومضى فلم يعد إليها"[1].

ويرد على حبيبة أخرى له طلبت منه خاتمه لتذكره به، بأسلوب مضحك، يدل فى الوقت نفسه على عدم إخلاصه لها فى حبه.

---

(١) جمع الجواهر، ص٦٧- ٦٨، وانظر أيضًا: الأغانى، ١٥٢/١٩.

"قالت صديقة أشعب لأشعب: هب لى خاتمك أذكرك به، قال: اذكرينى أنى منعتك إياه؛ فهو أحب إلىّ"[1].

وكان مزبد يحب المرأة حبًّا حسيًّا شهوانيًّا، ويمكنه أن يسيطر على شهوته نحو المرأة إذا تعارضت مع بخله. فهو أشد إخلاصًا لبخله من انجرافه وراء شهوته للمرأة، كما يصوّر لنا هذا تلك الحكاية الطريفة.

وكانت بالمدينة جاريةٌ، يقال لها: "بَصْبَص، مغنية، يجتمع الأشراف عند مولاها لسماع غنائها، فاجتمع عندها يومًا محمد بن عيسى الجعفرى، وعبد الله بن مصعب الزبيرى، فى جماعة من أشراف المدينة، فتذاكروا أمر مزبد وبخله.

فقالت بصبص: أنا آخذ لكم منه درهمًا فقال لها مولاها: أنتِ حرة إن لم أشتر لك مِخْنَقَة[2] بمائة دينارٍ إن فعلت هذا، وأشترى لك مع ذلك ثوب وشيٍ بمائة دينار، وأجعل لك مجلسًا بالعقيق أنحر فيه بدنة لم تركب، ولم تُقَتَّب"[3].

فقالت: جيء به، وارفع الغيرة عنى، قال: أنت حرة إن منعتك منه ... ولاعاديته على ذلك إن حصلت منه الدرهم. فقال عبد الله بن مصعب: أنا لكم به زعيم.

---

(١) الأغانى، ١٥١/١٩، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٦٧، وزهر الآداب، ١٦٢/١.

(٢) المخنقة: القلادة.

(٣) لم تقتب: لم توضع على ظهرها الأقتاب.

قال عبد الله: فصليت الغداة فى مسجد المدينة، فإذا أنا به قد أقبل، فقلت: أبا إسحاق، أما تحب أن ترى بصبص؟ فقال: بلى والله. امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطًا علىّ فى أمرها فقد جفتنى، وإلا فأنا أسأله منذ سنةٍ أن ألقاها فلا تجيبنى.

فقلت: إذا صليت العصر فأتنى هاهنا. فقال: امرأته طالق إن برح يومه من هاهنا إلى العصر.

قال: فتصرفت فى حوائجى حتى فاتت العصر، فدخلت المسجد فوجدته، فأخذت بيده فأتيتهم به، وأكل القوم، وشربوا حتى صليت العتمة، ثم تساكروا وتناوموا.

فأقبلت بصبص على مزبد، فقالت له: يا أبا إسحاق، كأنى – والله – فى نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة:

لقـــد رحلـــوا الجمـــال ليهـــ ـــــربوا منـــا فلـــم يئلـــوا

قال لها: امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ، فغنته.

فقالت له: أى أبا إسحاق كأنى بك تشتهى أن أقوم من مجلسى فأجلس إلى جنبك، فتدخل يدك فى جلبابى، فتقرص عكَنى قرصاتٍ وأغنيك:

قالت وأبثثتها وجدى فبحتُ به

فقال لها: امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام، وما تكسبه الأنفس غدًا، وبأى أرضٍ تموت. قالت: نعم؛ فقام فجلس إلى جنبها وأدخل يده فى جلبابها، وقرصها وغنت له.

ثم قالت: برح الخفاء. أنا أعلم أنك تشتهى أن تقبلنى شق التين، وأغنيك هزجًا:

أنـــــا أبصـــــرت بالليـــــل غلامًـــــا حســـــن الـــــدلِّ

كغصـــن البـــان قـــد أصبـــ ح مســـــقيًّا مـــــن الطـــــلِّ

فقال: امرأته طالق إن لم تكونى نبيةً مرسلةً فقبلها، وغنته.

ثم قالت: يا أبا إسحاق رأيت قط أنذل من هؤلاء، يدعونك، ويخرجونى إليك، ولا يشترون لنا ريحانًا بدرهمٍ، هلم درهمًا نشترى به ريحانًا.

فوثب وصاح: واحرباه أى زانية! أخطأت استك الحفرة، انقطع والله عنك الوحى الذى كان يُوحى إليك، ووثب من عندها وجلس ناحية. فَعَطْعَطَ بها القوم، وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه، وعادوا لمجلسهم، وخرج مزبد من عندهم فلم يعد إليهم"[1].

وأبو الحارث جمين يواجه امرأة يحبها – أو يدَّعى أنه يحبها – بهذه الحقيقة المؤلمة لها، وهى أنه يعشق الطعام أكثر مما يعشقها، ويذكر لها هذا الأمر بشكل طريف كما نرى فى هذه النادرة.

---

(١) نثر الدر، ٣/٢٣٩- ٢٤١، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٣/٣٠٣- ٣٠٥.

"ودعته امرأة كان يحبها، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلنى اللّه فداءك، لا أسمع للغداء ذكرًا.

قالت له: أما تستحى! أما فى وجهى ما يشغلك عن هذا؟ قال: جعلنى اللّه فداءك، لو أن جميلاً وبثينة[1] قعدا ساعةً لا يأكلان شيئًا لبزق[2] كل منهما فى وجه صاحبه"[3].

حب بعض المضحكين للطعام

رأينا فى بعض النوادر والحكايات التى ذكرناها منذ قليل أن المضحكين – أو أغلبهم – يحبون الطعام والشراب أكثر من حبهم للمرأة، بل إنهم – أو أكثرهم – لا يحبون المرأة إلا حبًّا حسيًّا ومن أجل منافع يحصلون عليها من خلالها، كعمل أصناف شهية من الطعام.

وظاهرة واضحة فى كثير من المضحكين أنهم شديدو الحب للطعام، ويستمتعون بأكله استمتاعًا كبيرًا، ومنهم من يتطفل للحصول عليه فى المناسبات السعيدة كأشعب، ومنهم من يطلب من حبيبته أن تعد له بعض ألوانه الشهية، ومنهم من يفاجئ بعض أصحابه فى أوقات الطعام ليأكل من طعامهم.

---

(١) هو جميل بن عبد اللّه بن معمر، شاعر عاشق عُرف بغزله العفيف، توفى سنة ٨٢هـ، وبثينة: هى محبوبة جميل التى أحبها ولم يتزوجها، فبكاها فى شعره حتى مات، انظر: الثعالبى: لباب الآداب. حرره وحققه: أحمد حسن. بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص١٩٨.

(٢) بزق: بصق.

(٣) نثر الدر، ٢٥١/٣.

وخلال أكلهم للطعام يتصرفون تصرفات غريبة مضحكة، تدل على تعمق روح الفكاهة فيهم، وعلى إخلاصهم فى حبهم للطعام.

ولعل أشعب هو أكبر مضحك عرف بعشقه الشديد للطعام، وتروى له نوادر عديدة تدل على حبه إياه وسعيه للحصول عليه بكل الوسائل بما فيها صناعة الحيل والتطفيل، وغير ذلك من الوسائل التى تدخل فى باب الفكاهة.

وهاهى ذى بعض نوادر له تدل على حبه الشديد للطعام.

"وكان يقول: ما أحسست قط بجارٍ لى يطبخ قدرًا إلا غسلت الغَضَار، وكسرت الخبز، وانتظرته يحمل إلىّ قدره"[1].

* * *

وقيل له: "ما بلغ من طعمك؟ قال: أرى دخان جارى فأثرد [عليه]"[2].

* * *

"وبينا قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانًا، إذ استأذن عليهم أشعب؛ فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى أجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قصعة بناحية، ويأكل معنا الصغار. ففعلوا وأذن له، فقالوا له: كيف رأيك فى الحيتان؟ فقال: والله إن لى عليها لحردًا شديدًا وحنقًا، لأن أبى مات فى البحر وأكلته الحيتان! قالوا له: فدونك خذ بثأر أبيك! فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير، ثم وضعه

---

(١) جمع الجواهر، ص٦٩.

(٢) أثرد: ثرد الخبز فته. وما بين معقوفتين زيادة على ما فى الأصل للتوضيح. والنادرة فى: نثر الدر، ٣١٦/٥.

عند أذنه – وقد نظر إلى القصعة التى فيها الحيتان فى زاوية المجلس – فقال: أتدرون ما يقول لى هذا الحوت؟ قالوا: لا. قال: إنه يقول: إنه لم يحضر موت أبى ولم يدركه؛ لأن سنه يصغر عن ذلك، ولكن قال لى: عليك بتلك الكبار التى فى زاوية البيت، فهى أدركت أباك وأكلته!"[1].

وفى النادرة التالية نرى أشعب يقوم بفعل طريف من أجل أن ينال من طعام سالم بن عبد الله.

"خرج سالم بن عبد الله متنزهًا إلى ناحيةٍ من نواحى المدينة هو وحرمه وجواريه وأبلغ أشعب الخبر فوافى الموضع الذى هم به، يريد التطفيل.

فصادف الباب مغلقًا فتسور الحائط، فقال له سالم: ويلك يا أشعب معى بناتى وحرمى، فقال: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾[2]، فوجه إليه سالم من الطعام ما أكل وحمل إلى منزله"[3].

أما مزبد فهو يقول بوضوح شديد: إن حبه للطعام لم يترك فى قلبه حبًّا لأحد بما فى ذلك كبار الصحابه الكرام كأبى بكر وعمر بن الخطاب – رضى الله عنهما –.

"وقيل له: كيف حبك لأبى بكر وعمر؟ قال: ما ترك الطعام فى قلبى حبًّا لأحدٍ"[4].

---

(١) العقد الفريد، ٢٢٩/٧.

(٢) سورة هود، من الآية ٧٩.

(٣) التطفيل، ص٤٧، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٦٨، والأغانى، ١٩/ ١٦٥، ونثر الدر، ٣١٥/٥.

(٤) نثر الدر، ٢٤٣/٣.

وتكثر نوادر أبى الحارث جمين التى تصور لنا عشقه للطعام خاصة الشهى منه بالنسبة إليه، كما نرى فى هاتين النادرتين.

وقيل له يومًا: "ما تشتهى؟ فقال: نشيش[1] مقلاةٍ بين غليان قدرٍ على رائحة شواءٍ"[2].

* * *

قيل لأبى الحارث جمين: "ما تقول فى الفالوذجة؟ قال: وددت أنها والموت اعتلجا فى صدرى، والله لو أن موسى لقى فرعون بفالوذجة لآمن، لكنه لقيه بعصا"[3].

ومع عشق أبى الحارث جمين للطعام، فإنه قد ينفر من أصناف منه، ويستغل بعض أصحابه معرفتهم بكرهه لهذه الأصناف فيقدمونها له ليضحكوا منه، كما نرى فى هذه النادرة.

"وكان أبو الحارث جمين لا يأكل الباذنجان، فكايده محمد بن يحيى واتخذ ألوانه كلها بباذنجان، فجعل كلما قدم لون فرابه الباذنجان فيه توقاه، وأقبل على الخبز والملح.

فلما عطش قال: يا غلام: اسقنى ماءً ليس فيه باذنجان"[4].

وأحيانًا يقع أبو الحارث مع أشخاص شديدى النهم للطعام، فيصير ضحية لهم، فإذا به يُحتال عليه بدلاً من أن يحتال هو – كما هو المعتاد عن

---

(١) النشيش: الصوت الذى يصدر أثناء القلى.

(٢) نثر الدر: ٢٤٧/٣.

(٣) أخبارالظراف والمتماجنين، ص١٣٣، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٤٧/٣، والمستطرف، ص١٨٩.

(٤) نثر الدر، ٢٤٧/٣.

المضحك – ويأكلون الطعام كله، ويصير هو فى النظارة يشاهد ما يفعلونه، كما نرى فى هذه النادرة.

"ونصب مع رفقاء له قدرًا وجعل فيها لحمًا. فلما تَلَهْوَجَتْ[1] نشل بعضهم قطعةً وقال: تحتاج إلى ملحٍ، ونشل آخر قطعةً وقال: تحتاج إلى أبزارٍ[2]، ونشل آخر قطعة وقال: تحتاج إلى بصل، فرفع أبو الحارث القدر وقال: والله تحتاج هذه القدر إلى لحمٍ"[3].

والجماز أيضًا كان معروفًا بحبه للطعام، وتروى عنه نوادر عديدة تصور شدة نهمه له، وعشقه إياه، ومن ذلك هاتان النادرتان.

"شَهَّى جعفر بن سليمان أصحابه؛ فتشهى كل إنسانٍ منهم جنسًا من الطعام، فقال للجماز: فأنت ما تشتهى؟

قال: أن يصح ما اشتهوا"[4].

* * *

"وحضر دعوة بعض الناس فجعل رب البيت يدخل ويخرج ويقول: عندنا سكباجة تطير طيرانًا، عندنا قَلِيَّة تطير فى السماء.

فلما طال ذلك على الجماز وجاع قال: يا سيدى، أحب أن تخرج لى رغيفًا مقصوص الجناح إلى أن تقع ألوانك الطيارات"[5].

---

(١) تلهوجت: تعجلت، ولهوج اللحم: لم ينضجه.

(٢) الأبزار: التوابل.

(٣) جمع الجواهر، ص٢١٥- ٢١٦، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٤٧/٣- ٢٤٨.

(٤) نثر الدر، ٢٥٥/٣- ٢٥٦.

(٥) المصدر السابق، ٢٠٦/٣.

حفظ المضحك النوادر والحكايات الطريفة وقيامه بتأليفها وبيعها

ومن المقومات الأساسية التى يستعين بها المضحك فى إضحاك الناس رواية النوادر والحكايات الطريفة، وبعض هذه النوادر والحكايات تكون من تأليفه، وبعضها سمعها من غيره، أو شهدها، وبعضها يكون قد حدث له، ويرويها عن نفسه بأسلوب مضحك.

ونجد أشعب المضحك لا يحفظ شيئًا غير النوادر الطريفة كما نرى فى هذه النادرة.

قيل لأشعب: "لو أنك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر لكان أولى بك. قال: قد فعلت. قالوا له: فما حفظت من الحديث، قال: حدثنى نافع عن ابن عمر عن النبى.

قال: "من كان فيه خصلتان كتب عند الله خالصًا مخلصًا". قالوا: إن هذا حديث حسن؛ فما هاتان الخصلتان؟ قال: نسى نافع واحدةً! ونسيت أنا الأخرى!"[1].

ودائمًا يطلب الناس من المضحك أن يذكر لهم بعض النوادر المضحكة أو يحكى لهم بعض الحكايات الطريفة كما نرى فى هذه النادرة.

---

(١) العقد الفريد، ٨/١٣٤- ١٣٥.

وقال الهيثم بن عدىّ[1]: "لقيت أشعب، فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألوننى عن أحاديث الملوك، ويعطوننى عطاء العبيد"[2].

وبعض الناس من محبى النوادر يتتبعون بعض المضحكين ليكتبوا عنهم نوادرهم الطريفة التى يحفظونها مقابل بعض المال، كما تصور لنا هذا هذه النادرة.

"قال يحيى الفراء: كنت قاطعت ابن دراج الطفيلى[3] على أن يُملى علىَّ ثلاثين نادرة بدرهم، فكان إذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له.

فقال: إن أردت النقاوة عشرة بدرهم"[4].

وأحيانًا نرى مضحكين يحفظون نوادر مضحكين آخرين ليضحكوا بها الخلفاء وغيرهم من الناس، كما كان يفعل أبو حبيب مضحك المهدى فى حفظه نوادر مزبد، كما تصوّر لنا هذه النادرة.

---

(١) الهيثم بن عدى كوفى، انتقل إلى بغداد، وكان مليح الشكل، نظيف الثوب حلو المحاضرة، عالمًا بالأخبار والشعر ولكنه مع ذلك كان شعوبيًّا شديد العصبية على العرب، وألف كتبًا ينتقصهم فيها، وكانت وفاته سنة ٢٠٧هـ. انظر: النجوم الزاهرة، ٢٣٠/٢، والبيان والتبيين، ١٣٢/١، ٣٤٧، والجاحظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م، ص٣٠- ٣١، والفهرست، ط. بيروت، دار المعرفة، ص١٤٥.

(٢) نهاية الأرب، ٣١/٤.

(٣) هو عثمان بن دراج الطفيلى، أحد المشهورين بالتطفيل كبنان وأشعب، وترى نوادر عديدة حول تطفيله، وله بعض أخبار مع الفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ، انظر: التطفيل، ص٤٩- ٥٠، والقول النبيل، ص٩٧- ٩٩، ونهاية الأرب، ٣٢٥/٣.

(٤) القول النبيل، ص٩٩، وانظر أيضًا: التطفيل، ص٥٠.

"وكان أبو حبيب مضحك المهدى يحفظ نوادر مزبِّد ويحكيها له فيصله. فقال له مزبد: بأبى أنت! أنا أزرع وأنت تحصد"[1].

وأبو نواس يقول فى بيتين له إنه يتتبع الظرفاء ليكتب نوادرهم وحكاياتهم الطريفة؛ لكى يحكيها، فيضحك منه أصدقاؤه ومن حوله.

"دخل أبو نواس الحسن بن هانىء على يحيى بن خالد فقال له: أنشدنى بعض ما قلت، فأنشده:

إنى أنا الرجل الحكيم بطبعه ... ويزيد فىَّ حكايةُ من حَكَى

أتتبع الظرفاءَ أكتبُ عنهمُ ... كيما أحدث من أحبُّ فيضحَكا"[2].

وبعض المضحكين، حين تقع لهم مواقف مضحكة مع بعض الناس لا يتوقفون عن نشرها مهما قدِّم لهم من أموال من هؤلاء الأشخاص الذين تدور عنهم تلك النوادر والحكايات المضحكة معهم، كما نرى الغاضرىّ فى هذه الرواية.

"صحب الغاضرىّ رجلاً من قريش من مكة إلى المدينة فقال القرشى: يا غلام، أطعمنا دجاجة، فأتى بها باردةً، فقال: ويحك أسخنها. ورفع غداؤهم ولم يؤت بالدجاجة.

فلما كان العشاء قال: يا غلام، عشاءنا. فلما أتاهم العشاء قال: هات تلك الدجاجة، فأتى بها باردةً، فقال: أسخنها.

---

(١) جمع الجواهر، ص٣٧.

(٢) زهر الآداب، ١٦٢/١، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٢٦.

فقال الغاضرى: أخبرونى عن دجاجتكم هذه أمن آل فرعون هى؟ فإنى أراها تُعْرض على النار غُدْوَةً وعشيًّا.

فقال: ويحك يا غاضرىّ اكتمها علىّ، ولك منى مائة دينار. فقال: واللّه ما كنت لأبيعها بشىءٍ"[1].

وأبو الحارث جمين، لا يردعه تهديد أحد الأمراء العباسيين له عن رواية موقف حدث له أمامه، وها هو ذا الموقف يصاغ من خلال هذه النادرة.

"خرج أبو الحارث جمين مع عيسى بن موسى إلى الصيد فخلا به، فانحنى عيسى على قَرْبُوس سرجه فأفلت منه ضرطة، فالتفت إلى أبى الحارث جمين فقال: إنك ستجعل هذه نادرة تأكل بها، وإنى أعطى اللّه عهدًا لئن بلغنى أنك حدثت بهذا لأضربن عنقك، فقال جمين: سبحان اللّه أيها الأمير، وأنا لا أدرى بمن أتعبَّثُ وحديث من أتحدث؟! فلما انصرفا قام إليهما بعض أهل الدار فقال: كم اصطدتم؟ فبادر أبو الحارث فقال: لا واللّه ما اصطدنا شيئًا، وما كان معنا انفلت، وأشار إلى نحو بطن عيسى"[2].

مشاكسات المضحك مع أسرتــه

كثير من المضحكين نرى لهم مشاكسات كثيرة مع أسرهم خاصة أزواجهم، وتكون هذه المشاكسات مضحكة، وتكمل الصورة المضحكة عن المضحك فى جوانب حياته المختلفة.

---

(١) جمع الجواهر، ص١٥٢، وانظر أيضًا: البخلاء للخطيب البغدادى، ص٨١.

(٢) البصائر والذخائر، ٢٢٩/٦.

وكثيرًا أيضًا ما يمتلك أفراد من أسرة المضحك الروح المرحة، والقدرة على الإضحاك خاصة أزواجهم وأمهاتهم.

ونرى بيت المضحك لا يكف عن الضحك والسخرية، وتروى عن أسرته حكايات ونوادر عديدة مضحكة.

وكثيرًا ما تحدث بين المضحك أفراد من أسرته – خاصة زوجته – مخاصمات طريفة، أحيانًا ينتصر فيها، وأحيانًا يصيبه الخزلان والخسارة فيها.

ونرى لأشعب مشاكسات مع أمه التى يبدو أنها كانت تمتلك روح السخرية والقدرة على الإضحاك مثله، ولعله ورث هذه الموهبة عنها.

ومن نوادر أشعب مع أمه التى نرى فيها مشاكساتهما تلك النادرة.

قال أشعب لأمه: "رأيتك فى النوم مطليةً بعسلٍ وأنا مطلى بعَذِرَةٍ: فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله ﷻ.

قال: إن فى الرؤيا شيئًا آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتنى ألطعك وأنت تلطعينى، قالت: لعنك الله يا فاسق"[1].

ولعل أشعب قد ورث عن أمه أيضًا صفة الطمع، حتى إننا لنراها فى رواية تعاتبه لأنه دعا الله أن يصرف عنه هذه الصفة؛ وتطلب منه أن يستقيل ربه فيما دعاه بهذا الأمر.

---

(١) الأغانى، ١٥٢/١٩.

قال أشعب: "تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عنى الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطنى أحد شيئًا، فجئت إلى أمى فقالت: ما لك جئت خائبًا؟ فأخبرتها، فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك.

فرجعت فقلت: يا رب أقلنى، ثم رجعت، فلم أمر بمجلسٍ لقريشٍ وغيرهم إلا أعطونى ووهب لى غلام، فجئت إلى أمى بحمار مُوَقَّر من كل شىءٍ، فقالت: ما هذا الغلام؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحًا، فقلت: وهبوا لى، قالت: أى شىء؟ قلت: غين، قالت: أى شىء غين؟ قلت: لام، قالت: وأى شىء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأى شىء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأى شىء ميم؟ قلت: غلام. فَغُشِىَ عليها، ولو لم أُقَطِّعْ الحروف لماتت الفاسقة فرحًا"[1].

وكما كان لأشعب مشاكسات مضحكة مع أمه فله أيضًا مشاكسات و"مناكفات" مضحكة مع زوجته، وهى أيضًا تمتلك روح الفكاهة، كما نرى فى هذه الرواية.

"بينا أشعب يومًا يتغدّى إذ دخلت جارةٌ له، ومع أشعب امرأته تأكل، فدعاها لتتغدى، فجاءت الجارة فأخذت العرقوب بما عليه – وأهل المدينة يسمونه عُرْقُوب رب البيت.

(١) المصدر السابق، ١٣٩/١٩، وانظر أيضًا: العقد الفريد، ١٣٥/٨ – ١٣٦، ونهاية الأرب، ٢٨/٤.

فقام أشعب فخرج ثم عاد فدق الباب. فقالت له امرأته: يا سخين العين ما لك! قال: أدخل؟ قالت: أتستأذن أنت، وأنت رب البيت؟ قال: لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين يدى هذه"[1].

وأكثر المضحكين يسهل عليهم الحلف بالطلاق بالحق أحيانًا وبالباطل أحيانًا أخرى، ويكون حلفهم بالطلاق – فى الغالب – وسيلة من وسائل الفكاهة فى المواقف التى يحلفون بها بهذا القسم الغريب، كما نرى أشعب فى هذه النوادر التى يكثر فيها من الحلف بالطلاق لأتفه الأسباب، وانسياقًا وراء الرغبة فى إضحاك من حوله.

"قال الواقدى: كنت مع أشعب نريد المُصَلَّى، فوجد دينارًا، فقال لى: يا ابن واقد قلت: ما تشاء؟ قال: وجدت دينارًا فما أصنع به؟

قال: قلت: عَرِّفْهُ، قال: أم العلاء إذًا طالق، قال: قلت: فما تصنع به إذًا؟ قال: أشترى به قطيفة أُعَرِّفُها"[2].

* * *

"وأهدى رجلٌ من ولد عامر بن لؤى إلى إسماعيل الأعرج فالوذجة وأشعب حاضر، فقال: كل يا أشعب، فأكل منها.

فقال له: كيف تراها؟ قال: الطلاق يلزمه إن لم تكن عُمِلَتْ قبل أن يوحى ربك إلى النحل. أى ليس فيها حلاوةٌ"[3].

* * *

---

(١) الأغانى، ١٥٥/١٩.

(٢) المصدر السابق، ١٤٠/١٩، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص٦٩.

(٣) جمع الجواهر، ص٦٧، وانظر أيضًا: زهر الآداب، ١٦٢/١، والأغانى، ١٥٤/١٩.

"كان زياد بن عبد الله الحارثى أبخل خلق الله، فأولم وليمة لطهر بعض أولاده، وكان الناس يحضرون ويقدم الطعام فلا يأكلون منه إلا تعللاً وتَشَعُّثًا[1] لعلمهم به، فقدم فيما قدم جدى مشوى فلم يعرض له أحدٌ، وجعل يردده على المائدة ثلاثة أيام والناس يجتنبونه إلى أن انقضت الوليمة.

فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك فقال: امرأته الطلاق إن لم يكن هذا الجدى بعد أن ذُبِحَ وشُوِىَ أطول عمرًا وأمدَّ حياةً منه قبل أن يذبح، فضحك الرجل، وسمعها زياد فتغافل"[2].

ومن الغريب أن نرى بعض الحيوانات التى تتعلق بالمضحك تثير – هى أيضًا – الفكاهة بتصرفاتها الغريبة، وأحيانًا تعانده وتفجر منه السخرية، كما نرى فى هذه النادرة لأشعب مع كلبه.

كان أشعب يقول: "كلبى كلب سوء، يبصبص[3] للأضياف وينبح أصحاب الهدايا"[4].

وسنتحدث بعد قليل عن علاقة المضحك بحماره، وما يدور بينهما من مواقف مضحكة.

ونجد الغاضرىّ المعاصر لأشعب يثير المشاكل الطريفة مع زوجته، وقد مرت بنا نادرة له مع زوجته حول هذا الأمر، وها هى ذى نادرة أخرى له يهدِّد فيها زوجته بالطلاق لأمر تافه.

---

(١) تشعث من الطعام: أكل منه قليلاً.

(٢) الأغانى، ١٧٥/١٩.

(٣) بصبص الكلب: أى هز ذيله، وهو دليل على فرحه، وأما نباح الكلب فهو دليل على غضبه.

(٤) نثر الدر، ٣١٤/٥، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٢٧/٤.

"قالت امرأة الغاضرى، وقد قطع لها قميصًا: ما أخشن هذا القميص!! قال لها: أهذا أخشن أم الطلاق؟ قالت: بل الطلاق"[1].

وتروى لنا نوادر وحكايات كثيرة مضحكة عن علاقة جحا مع أفراد أسرته خاصة زوجاته العديدات.

ونحن نشك فى صحة أكثر هذه النوادر والحكايات؛ لأنها لم تذكر فى أقدم كتب الأخبار والروايات ككتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن الجوزى والآبى، وإنما ذكرت فى كتب متأخرة كثيرًا عنها مما يؤكد توليدها ونسبتها لجحا على سبيل أن تشيع وتشتهر بين الناس لشهرة جحا بين الناس بالظرف والفكاهة.

وعلى كل حال فنحن نذكر بعض هذه النوادر والحكايات المضحكة التى تدل على مشاكسات جحا مع بعض أفراد أسرته.

وها هى ذى نادرة تصور لنا ردّ فعل جحا نحو زوجة قبيحة المنظر لم يرها إلا فى ليلة الزفاف.

"خطبت له إحدى الخاطبات امرأة قبيحة المنظر ولم يرها إلا ليلة الزفاف، وفى الصباح تقدمت إليه العروس على استحياء وقالت له: أرجو أن تخبرنى عن أقربائك الرجال، أيهم أظهر أمامه، وأيهم أختفى منه؟

فقال لها: أظهرى نفسك لكل الناس واختفى منى أنا"[2].

---

(١) البصائر والذخائر، ٨/١٨٥.

(٢) أخبار جحا، ص١١٨- ١١٩.

وفى نادرة أخرى نرى جحا يتزوج بعد أن ماتت زوجته ويتشاكس فيها مع زوجته الجديدة بأسلوب مضحك.

"بعد أن ماتت زوجة جحا تزوج امرأة مات زوجها، فكانت كثيرًا ما تذكر محاسن زوجها المتوفَّى.

وكان هو يقابلها بالمثل فيذكر محاسن زوجته المتوفاة، ولكنه ضاق ذرعًا بذلك، وفى إحدى الليالى وهى نائمة، دفعها برجله فسقطت على الأرض، فغضبت وشكت ذلك لأبيها.

فقال له جحا: أرجو أن تنصفنى، فنحن أربعة أشخاص ننام على سرير واحد أنا والمرحومة زوجتى، وابنتك والمرحوم زوجها، والسرير لا يسع أربعة أشخاص، ولذلك تدحرجت ابنتك من فوقه، فما ذنبى أنا؟"[1].

وفى نادرة أخرى نرى جحا حين مرض مرضًا شديدًا يطلب من زوجته أن تتزين عسى أن يراها ملك الموت بهذه الهيئة الحسنة فيأخذها ويتركه، وها هى ذى تلك النادرة.

"قال لامرأته، وهو مريض مرضًا شديدًا: البسى أحسن ثيابك وتزينى بأنواع الزينة وتعالى أمامى، فقالت له: كيف أدع خدمتك فى مثل هذه الساعة وأنت فى مرض الموت؟ فهل تظننى ضعيفة النفس جاحدة المعروف؟

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٤.

فقال: كلا يا عزيزتى، فإن ما خطر لى هو غير ما تظنين، فإنى أرى ملك الموت يحوم حولى، ولعله إذا رآك بتلك الثياب الفاخرة والهيئة الحسنة يتركنى ويأخذك"[1].

وأحيانًا يصطنع جحا مع زوجته مشاكسة وخلافًا من أجل أن يحتالا لدخول عرس جيران لهم لم يدعوا إليه، كما نرى فى هذه النادرة.

"أقام جيرانه وليمة عرس ولم يدعوه إليها: ثم خرجت امرأته مسرعة داخلة بيت الجيران، وهو يجرى خلفها بعصاه، فأمسكوا به وجعلوا يهدئون غضبه.

ثم مُدَّت الموائد فعزموا عليه واعتذروا له من تقصيرهم فى دعوته، فجعل يلتهم الطعام ويقول: ما أعجب امرأتى، لقد عرفت أين تلقى بنفسها، ولو وقفتُ لأدرتها كهذا الطبق، وشددتها كما أشد هذا الصدر والورك، ومزقتها كما أمزقهما.

وبعد أن انتهت الوليمة قال: علمنا بالعُرْس ولم تدعونا إليه، ففكرت مع امرأتى طويلاً ولم نجد وسيلة إلا أن نتصنع المشاجرة، فابعثوا إلى امرأتى من يخبرها أنى راضٍ عنها وأنى أريد الانصراف"[2].

وفى نادرة أخرى نرى جحا متزوجًا من امرأتين، ويستطيع بدهائه أن يقنع كل واحدة منهما أنه يحبها أكثر من الأخرى.

"كانت له زوجتان، فأهدى كل واحدةٍ منهما عِقْدًا، وأمرها ألا تخبر ضرتها.

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٤- ١٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٦.

وفى يوم اجتمعتا عليه وقالتا: من هى التى تحبها أكثر من الأخرى؟ فقال: التى أهديتها العقد هى أحب إلىّ.

فسرت كل منهما، واعتقدت أنها هى المحبوبة"[1].

ولم يكن جحا يقوم بمشاكسات مع زوجاته فحسب، بل نرى له بعض المشاكسات المضحكة مع أمه، كما نرى فى هذه النادرة.

"دخل جحا على أمه وهى فى النزع فقال لها: كيف حالك يا أماه؟ جعلنى الله فداءك، قالت: إنى فى الموت.

قال: إذن لا جعلنى الله فداك؛ فقد كنت أظن أن فى الأجل فسحة"[2].

أما أبو دلامة فله خلافات ومشاكسات مع أفراد أسرته كزوجته وابنه، وهما يمتلكان الروح المرحة مثله، بل أنهما يحتالان عليه فى بعض الحكايات المضحكة[3] كما نرى فى هذه الحكاية الطريفة.

---

(١) المصدر السابق، ص٦٨.

(٢) أخبار جحا، ص٧٧.

(٣) صاغ على أحمد باكثير الكثير من هذه الحكايات المضحكة بين أبى دلامة وأفراد أسرته ضمن مسرحية "أبى دلامة مضحك الخليفة" انظر: على أحمد باكثير: أبو دلامة مضحك الخليفة. القاهرة، مكتبة مصر للطباعة، ١٩٧٧م.

وكتب عبد التواب يوسف مسرحية "جحا الميت الحى" ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م. من خلال معالجته إحدى نوادر أبى دلامة المضحكة ..

انظر هذه النادرة فى الأغانى للأصفهانى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ٢٥٥/١٠.

"حجت الخيزران[1]، فلما خرجت، صاح أبو دلامة: جعلنى الله فداك، الله الله فى أمرى! فقالت: من هذا؟ قالوا: أبو دلامة. فقالت: سلوه ما أمره، قالوا له: ما أمرك؟ قال: أدنونى من محملها، قالت: ادنوه، فأدنى، فقال لها: أيتها السيدة، إنى شيخ كبير وأجرك فىّ عظيم. قالت: فمه! قال: تهبينى جاريةً من جواريك تؤنسنى، وترفق بى وتريحنى من عجوزٍ عندى، قد أكلت رِفْدِى، وأطالت كَدِّى، فقد عاف جلدى جلدها، وتشوقت فقدها.

فضحكت الخيزران وقالت: سوف آمر لك بما سألت. فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد، فأقام حتى غرض. ثم دخل على أم عُبَيْدَة حاضنة موسى وهارون فدفع إليها رقعةً قد كتب بها إلى الخيزران، فيها:

أبلغى سيدتى بـا ... لله يا أم عبيدَهْ

أنها أرشدها ا ... لله وإن كانت رشيده

وعدتنى قبل أن تخـ ... ـرج للحج وليده

فتأنيت وأرسلـ ... ـت بعشرين قصيده

كلما أخلقن أخلف ... ت لها أخرى جديدة

ليس فى بيتى لتمهيـ ... ـد فراشى من قعيده

غير عجفاء عجوزٍ ... ساقها مثل القديده

---

(١) الخيزران كانت جارية للمهدى أعتقها وتزوجها، وأنجب منها الهادى والرشيد اللذين صارا خليفتين بعد ذلك، وقد توفيت سنة ١٧٣هـ.

وجههـــا أقـــبح مـــن حـــو تٍ طـــرىّ فـــى عصـــيده

مـــا حيـــاة مـــع أنثـــى مثـــل عرســـى بســـعيده

فلما قرأت عليها، ضحكت ودعت بجاريةٍ من جواريها فائقة الجمال، فقالت لها: خذى كل ما لك فى قصرى، ففعلت، ثم دعت بعض الخدم وقالت له: سلمها إلى أبى دلامة.

فانطلق الخادم بها فلم يصادفه فى منزله، فقال لامرأته: إذا رجع أبو دلامة فادفعيها إليه وقولى له: تقول لك السيدة: أحسن صحبة هذه الجارية فقد أمرت لك بها. فقالت له: نعم. فلما خرج الخادم دخل ابنها دلامة فوجد أمه تبكى، فسألها عن خبرها فأخبرته، وقالت: إن أردت أن تبرنى يومًا من الأيام فاليوم. قال: قولى ما شئت فإنى أفعله. قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطؤها فتحرّمها عليه وإلا ذهبت بعقله فجفانى وجفاك.

ففعل ودخل إلى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه، وخرج. فدخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية؟ قالت: فى ذلك البيت، فدخل إليها شيخ محطم ذاهب، فمد يده إليها وذهب ليقبلها، فقالت: ما لك ويحك! تنح وإلا لطمتك لطمة دققت منها أنفك. فقال لها: أبهذا أوصتك السيدة؟ قالت: بعثت بى إلى فتى من هيئته وحاله كيت وكيت، وقد كان عندى آنفًا ونال منى حاجته.

فعلم أنه قد دُهِىَ من أم دلامة وابنها. فخرج أبو دلامة إلى دلامة فلطمه ولببه وحلف ألا يفارقه إلا إلى المهدى. فمضى به ملببًا حتى وقف بباب المهدى، فعرف خبره، وأنه جاء بابنه على تلك الحال. فأمر بإدخاله،

فلما دخل قال: ما لك؟ قال: فعل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يفعله ولد بأبيه، ولا يرضينى إلا أن تقتله. قال: ويحك! وما فعل بك؟ فأخبره الخبر، فضحك حتى استلقى ثم جلس.

فقال له أبو دلامة: أعجبك فعله فتضحك منه؟ فقال: علىّ بالسيف والنطع. فقال له دلامة: قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين، فاسمع حجتى. قال: هات! قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجهًا، هو يفعل بأمى منذ أربعين سنة ما غضبت، وفعلت أنا بجاريته مرةً واحدةً غضب وصنع بى ما ترى.

فضحك المهدى أشد من ضحكه الأول، ثم قال: دعها له يا أبا دلامة، وأنا أعطيك خيرًا منها، قال: على أن تخبأها لى بين السماء والأرض وإلا فعل بها والله كما فعل بهذه، فتقدم إلى دلامة ألا يعاود مثل فعله، وحلف أنه إن عاود قتله، ثم وهب له جارية"[1].

وهذه حكاية طريفة أخرى نرى فيها أبا دلامة وزوجته وابنه يمثلون أمام جمهور من الناس مسرحية ساخرة يعرضون فيها جانبًا من أمورهم الخاصة التى لا يستحون من نشرها بين الناس؛ ليضحكوا منها، وليعرضوا عليهم قدراتهم العالية فى تفجير الفكاهة، ومهاراتهم فى الاحتيال الطريف.

"جاء ابن أبى دلامة يومًا إلى أبيه وهو فى محفلٍ من جيرانه وعشيرته فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة، فقال لهم: إن شيخى كما ترون قد كبر سنه ورق جلده ودق عظمه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أشير عليه بالشىء يمسك رمقه ويبقى قوته فيخالفنى فيه، وإنى أسألكم

---

(١) نهاية الأرب، ٤/٤٥- ٤٧.

أن تسألوه قضاء حاجةٍ لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته، فأسعفونى بمسألته معى.

فقالوا: نفعل حبًّا وكرامة، ثم أقبلوا على أبى دلامة بألسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنه وهو ساكت، قال: قولوا للخبيث فليقل ما يريد، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببليةٍ.

فقالوا له: قل، فقال: إن أبى إنما قتله كثرة الجماع، فتعاونونى حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصحّ لجسمه وأطول لعمره. فعجبوا بما أتى به وضحكوا. ثم قالوا لأبى دلامة: قد سمعت فأجب.

قال: قد سمعتم أنتم فعرفتكم أنه لم يأت بخيرٍ. قالوا: فما عندك فى هذا؟ قال: قد جعلت أمه حكمًا فيما بينى وبينه، فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها، وقص أبو دلامة القصة عليها وقال: قد حكمتك. فأقبلت على الجماعة، فقالت: إن ابنى هذا أبقاه الله قد نصح أباه ولم يألُ جهدًا، وما أنا إلى بقاء أبيه أحوج منى إلى بقائه، وهذا أمر لم يقع به تجربة منا ولا جرى بمثله عادة لنا، وما أشك فى معرفته بذلك، فليبدأ بنفسه فليخصها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرًا محمودًا استعمله أبوه.

فضحك أبوه والقوم وانصرفوا يعجبون من خبثهم جميعًا"[1].

(١) المصدر السابق، ٤/ ٤٧- ٤٨.

ونجد لمزبد خلافات كثيرة مضحكة مع زوجته – أو بالأصح مع زوجاته كما يبدو من نوادره –، وتشاركه زوجته – أو زوجاته – روحه المرحة، وتدور بينهما مواقف مضحكة كما نرى فى هذه النادرة.

"اشترى مزبد رأسين فوضعهما بين يدى امرأته. وقال: اقعدى نأكل، فأخذت رأسًا فوضعته خلفها. وقالت: هذا لأمى، فأخذ مزبد الرأس الآخر ووضعه خلفه. وقال: هذا لأبى.

قالت: فماذا نأكل؟ قال: ضعى رأس أمك وأضع رأس أبى"[1].

وزوجة مزبّد واسعة الحيلة مثله، وتستطيع بسعة حيلتها أن تفلت من يمين طلاق ألقاه عليها، كما نرى فى هذه النادرة.

"ونظر يومًا إلى امرأته تصعد فى درجةٍ، فقال: أنت الطلاق إن صعدت، وأنت الطلاق إن وقفت، وأنت الطلاق إن نزلت.

فرمت بنفسها من حيث بلغت. فقال لها: فداك أبى وأمى! إن مات مالك احتاج إليك أهل المدينة فى أحكامهم"[2].

ومن الواضح أن مزبدًا كان يسهل عليه طلاق زوجته –أو زوجاته – وتروى عنه وعن زوجته – أو زوجاته – خلال طلاقه إياها – أو إياهن – نوادر مضحكة كما نرى فى هاتين النادرتين.

---

(١) جمع الجواهر، ص٣٦١.

(٢) نثر الدر، ٢٣٥/٣.

"خاصم مرة امرأته، وأراد أن يطلقها، فقالت له: اذكر طول الصحبة. قال: والله ما لك عندى ذنب غيره"[1].

* * *

قال مزبد لامرأته: "أنت غير شفيقةٍ علىّ، ولا راعية لى. فقالت: والله لأنا أرعى بك من التى كانت قبلى وأشفق. قال: أنت طالق ثلاثًا، لقد كنت آتيها بالجرادة فتطبخ لى منها أربعة ألوان وتشوى جنبيها.

فدعته إلى القاضى، فجعل القاضى يطلب له المخرج فقال: أصلحك الله! لا عليك إن أشكلت المسألة فهى طالق ثلاثين"[2].

وهذه نادرة عن زوجة مزبد – أو إحدى زوجاته – تصوّر لنا روحها المرحة، وموقفها الرافض لكثير من أفعال الرجال التى لا تقدر النساء على فعلها بحكم الشرع والعُرْف.

"قالت امرأة مزبد لجارةٍ لها: يا أختى؛ كيف صار الرجل يتزوج بأربعة، ويملك من الإماء ما يشاء، والمرأة لا تتزوج إلا واحدًا! ولا تستبد بمملوكٍ؟

قالت لها: يا حبيبتى، قوم الأنبياء منهم، والخلفاء منهم، والقضاة منهم، والشُّرَطُ منهم، تحكموا فينا كما شاءوا، وحكموا لأنفسهم بما أرادوا"[3].

---

(١) المصدر السابق، ٢٣٨/٣.

(٢) جمع الجواهر، ص٢٠٧.

(٣) نثر الدر، ٢٤١/٣- ٢٤٢.

والجماز هو أحد المضحكين الذين نرى لهم مواقف مضحكة مع زوجاتهم، كما نرى فى هذه النادرة التى يسهل عليه فيها طلاق زوجته مثل مزبد.

"وقالت له امرأته فى يومٍ غائمٍ: ما يطيب فى هذا اليوم؟ فقال: الطلاق"[1].

علاقة المضحك بحماره

ومن ضمن ما يرتبط بالمضحك ونجد له مواقف مضحكة معه، علاقته ببعض حيواناته ككلبه وبغلته، وحماره على وجه الخصوص.

وبعض المضحكين لهم نوادر وحكايات طريفة مع حميرهم، وأحيانًا يتعاملون مع هذه الحمير على أنهم بشر عقلاء، وكثيرًا ما نرى هذه الحمير تتصف بشىء من الذكاء الفطرى، وتشارك هؤلاء المضحكين فى إثارة الفكاهة فى النوادر والحكايات التى تتواجد معهم فيها.

ولعل ارتباط الحمار – خاصة – ببعض المضحكين من أسبابه ما تواتر فى الوعى الجمعى من الضحك من الحمار لمنظره وأفعاله.

ولذا كان الحمار أحد أساليب بعض المضحكين فى إثارة الفكاهة كما نرى فى عرضنا هذا.

وجحا هو أكثر شخصية تروى له نوادر وحكايات طريفة تتعلق بعلاقته بحماره[1]، ونجد هذه النوادر والحكايات الطريفة تبدأ بشراء جحا لحماره – أو لأحد حميره – كما يصور لنا هذا هذه النادرة.

---

(١) المصدر السابق، ٢٥٣/٣.

"كانت معه دراهم فذهب ليشترى حمارًا. فقيل له: يا جحا، قل: إن شاء الله، فقال: لأى شىء أقول ذلك، والدراهم معى والحمير فى السوق؟

فلما قرب من السوق سرق اللصوص دراهمه فرجع خائبًا، ولقيه ذلك الرجل الذى قال له قل إن شاء الله، وسأله: أين الحمار يا جحا؟

فأجابه مغضبًا: سرقت الدراهم إن شاء الله، ولعن الله أباك وأمك إن شاء الله"[٢].

وفى حكاية طريفة نرى جحا يعرض حماره للبيع، ويغالى الدلال فى ذكر مزاياه – كاذبًا بالطبع – مما يجعل جحا يظن أن حماره فيه هذه الصفات فيدخل فى المزاد، ثم يرسو عليه، ويشترى حماره الذى كان قد عرضه هو بداية فى المزاد للبيع، كما تصور لنا هذا هذه النادرة الطريفة.

"أراد جحا أن يبيع حماره، فذهب إلى السوق وأعطاه للدلال ليبيعه، فجعل الدلال يدور به وينادى: هذا حمار سريع السير، متين التركيب، واسع الخطا، لا يشعر راكبه بأى تعب.

فجعل الناس يتزايدون عليه حبًّا فى هذه المزايا الكثيرة، وسمع جحا هذه الأوصاف، ورأى الناس يتزايدون، فقال فى نفسه: لا بد أن الحمار به هذه الصفات وأنا لا أدرى، وبسرعة اندفع بين المتزايدين، وجعل يتبارى معهم فى رفع ثمنه، إلى أن توقفوا ورسا البيع عليه هو"[٣].

---

(١) وكما قلنا من قبل فنحن نشك فى صحة نسبة هذه النوادر والحكايات لجحا؛ لأنها لم ترد فى مصادر قديمة بل رويت فى كتب حديثة نسبيًّا، وانظر حول علاقة جحا بحماره: جحا العربى، ص١٥٩- ١٦٦.

(٢) أخبار جحا، ص٩٠ – ٩١.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٨.

وتظهر لنا بعض النوادر والحكايات الطريفة حمار جحا على أنه حمار عجيب، فهو فى بعضها متمرد لا يمكن ترويضه، ويؤذى كل من يقترب منه، كما نرى فى هذه النادرة.

"أخذ حماره إلى السوق، فجاء أحد المشترين ومد يده إلى فم الحمار ليعرف عمره فعضه الحمار عضة بالغة، فجعل الرجل يسب ويشتم وذهب.

ثم جاء مشترٍ آخر وطاف حول الحمار، وأراد أن يمسك ذنبه، فرفسه الحمار رفسة قوية دحرجته على الأرض، فقام يسب ويلعن وذهب.

فجاء الدلال إلى جحا وقال له: إن هذا الحمار لا يشتريه أحد، فهو يعض ويرفس، فقال جحا: وأنا لم أحضره للبيع، وإنما جئت به ليرى المسلمون مقدار ما يصيبنى من أذاه"[1].

ويتعامل جحا مع حماره – فى بعض النوادر والحكايات الطريفة – على أنه شخص عاقل؛ ولذا يكلمه، ويحاوره، ويعانده الحمار أحيانًا، ويعاقبه جحا أحيانًا أخرى، كما تصور لنا هذا النوادر[2].

"بعد أن مات بائع اللفت، اشترى جحا حماره وأدواته وجعل يطوف به فى البلد ليبيع اللفت، وكان الحمار يعرف البيوت التى يشترى أصحابها

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٧- ١٤٨.

(٢) لا شك أن حمار جحا – فى نوادره وحكاياته الطريفة معه – يضحكنا لأنه يقوم بأفعال تناسب البشر، فهو فيها كأنه شخص عاقل يتحدى جحا أحيانًا ويعانده كما تصور لنا هذا النوادر التى سوف نذكرها عن جحا وحماره، وهذا يتفق مع قول برجسون: "لا مضحك إلا فيما هو "إنسانى". فالمنظر قد يكون جميلاً لطيفًا رائعًا، أو قبيحًا، ولكنه لا يكون مضحكًا أبدًا. وإذا ضحكنا من حيوان فلأننا لقينا عنده وضعًا أو تعبيرًا إنسانيًا".

انظر: هنرى برجسون: الضحك، ص١٤.

لفتًا، فإذا نادى جحا على اللفت نهق الحمار، فغطى بنهيقه على صوت جحا.

وفى أحد الأيام طاف جحا حتى وصل إلى مكان مزدحم بالناس، وبدأ ينادى على لفته، فنهق الحمار بصوت أعلى من صوته، فنظر إليه بغيظ وألقى بمقوده على عنقه وصاح فيه: اسمع يا هذا؟ أأنت الذى تبيع اللفت أم أنا"[1].

* * *

"كان راكبًا يومًا حماره، فنزل فى مكان خالٍ ليقضى حاجة، ووضع جبته على ظهر الحمار، ومر أحد اللصوص فسرقها. ولما عاد جحا لم يجد الجبة فجعل يضرب الحمار ويسأله: أين الجبة؟

وأخيرًا أخذ بردعة الحمار ووضعها على ظهر نفسه، وجره وقال له: هات لى جبتى وأنا أعطيك بردعتك"[2].

* * *

"ضاع حماره فأخذ يبحث عنه ويغنى، فقالوا له: هل يغنى الذى يضيع حماره أو يبتئس؟

فقال: ربما كان حمارى خلف هذا الجبل، فإذا لم أصادفه فلا بد أن يسمع صوتى وأنا أغنى، فيعلم أنى غير مهتم بضياعه فيأتى"[3].

* * *

---

(١) أخبار جحا، ص١٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص١١٨.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٨.

"طلب رجل من جحا حماره، فأنكر أنه موجود فى المنزل، فنهق الحمار، فقال له: ها هو ذا الحمار ينهق.

فقال له جحا: يا أخى أتصدق الحمار ولا تصدقنى بهذه اللحية المملوءة بالشيب؟"[1].

ولارتباط جحا الشديد بحماره فإنه يجعله مثلاً فى كل شىء، وطرفًا فى إجاباته عن أكثر الأسئلة غرابة التى توجه إليه، كما نرى فى هذه النادرة.

"خرج أحد العلماء يطوف بالبلاد، يباحث العلماء ويغلبهم، حتى وصل إلى بلد جحا وسأل: هل من عالم فى هذا البلد؟ قالوا: نعم، وأحضروا له جحا راكبًا حماره.

فسأله العالم: أين وسط الأرض؟ فأجابه جحا: الموضع الذى أنا واقف فيه بحمارى، وإن لم تصدقنى فعليك بقياس الأرض، فتحير الرجل ثم سأله: كم عدد النجوم؟

فأجابه جحا: عدد شعر حمارى، وإن لم تصدقنى فعد النجوم، وعد شعر الحمار.

فسأله الرجل: كم عدد الشعر فى لحيتى؟ فأجابه جحا: إن الشعر فى لحيتك يساوى عدد الشعر الذى فى ذيل حمارى، فإن لم تصدقنى فاقلع شعرة من لحيتك وشعرة من ذيل الحمار حتى ينتهى الاثنان ثم عدهما.

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٩.

فدهش الرجل ورجع نادمًا"[1].

ونتيجة لهذه العلاقة القوية بين جحا وحماره فإنه يراه أعلى قدرًا من زوجة له ماتت؛ ولذا يحزن على حماره حين موته أشد من حزنه على زوجته التى كانت قد سبقته بالموت، كما نرى فى هذه النادرة.

"ماتت امرأته فلم تظهر عليه علامات الحزن الشديد، وبعد مدة مات حماره فبدت عليه علامات الأسى والحزن البالغ.

فقال له أحد أصدقائه: ما أعجبك يا جحا! ماتت امرأتك فلم أرك حزنت عليها مثل هذا الحزن.

فقال جحا: عندما توفيت امرأتى جاءنى جيرانى وقالوا: لا تحزن فإنا سنجد لك زوجة أحسن منها، وعاهدونى على ذلك، وعندما مات الحمار لم يأتنى أحد يسلينى بمثل هذه السلوى، أفلا يحق لى أن يشتد حزنى على حمارى؟"[2].

وأحيانًا تحل البغلة مكان الحمار فى نوادر جحا وحكاياته الطريفة، ولكن هذا لا يأتى كثيرًا، وتقوم البغلة بعمل المواقف المضحكة نفسها التى كان الحمار يقوم بها مع جحا، ونراها تتصرف مع جحا كأنها شخص عاقل يعاند جحا، كما يصور لنا هذا تلك النادرة.

"وجمحت به بغلة يومًا، فأخذت به فى غير الطريق الذى أراده، فلقيه صديق له. قال: أين عزمت يا أبا الغصن؟

---

(١) المصدر السابق، ص١١٩- ١٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٩.

فقال: فى حاجة للبغلة"[1].

ومزبد مضحك آخر له بعض النوادر الطريفة مع حماره، كما نرى فى هذه النادرة.

"قيل له – وقد اشترى حمارًا –: ما فى هذا الحمار عيب إلا أنه ناقص النفس بليد يحتاج إلى عصا.

قال: إنما كنت أغتم لو كان يحتاج إلى بَزْمَاوَرْد[2] فأما العصا فإنها سهل"[3].

بل إن حمار مزبد أحيانًا يتعامل معه مزبد على أنه شخص عاقل – شأن جحا فى علاقته مع حماره – ولذا يظهر الحمار مع مزبد معاندًا له، كما نرى فى هذه النادرة.

"قيل له: ما بال حمارك يتبلَّدُ إذا توجه نحو المنزل، وحُمُرُ الناس إلى منازلها أسرع؟

قال: لأنه يعرف سوء المنقلب"[4].

معاقبة المضحك وأسرته بشكل غريب

ولجرأة بعض المضحكين، ولارتكابهم بعض الفواحش كشرب الخمر؛ فإنهم يتعرَّضون للعقاب كثيرًا، وغالبًا ما نراهم يعاقبون بأسلوب

---

(١) نثر الدر. تحقيق: محمد إبراهيم عبد الرحمن. مراجعة: على محمد البجاوى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ٣٠٨/٥.

(٢) البزماورد: طعام من بيض ولحم، وهى كلمة فارسية.

(٣) نثر الدر، ٢٤٣/٣.

(٤) نهاية الأرب، ٢٤/٤.

غريب يتناسب مع وضعهم كمضحكين، وتروى نوادر وحكايات طريفة تصوِّر لنا عقاب بعض المضحكين بهذا الشكل الغريب المثير للضحك.

فهذا أشعب تعرض للعقاب كثيرًا بسبب تصرفات غريبة يقوم بها لا يرضى عنها الأشراف الذين يعيش معهم فى مكة والمدينة.

فهذه سكينة بنت الحسين[1] غضبت على أشعب فى شىء خالفها فيه، فعاقبته بهذا لشكل الغريب الذى نراه فى هذه النادرة.

"غضبت سكينة على [أشعب] فى شىءٍ خالفها فيه فحلفت لتحلقنَّ لحيته، ودعت بالحجام فقالت له: احلق لحيته، فقال له الحجام: انفخ شدقيك حتى أتمكن منك، فقال له: ...، أمرتك أن تحلق لحيتى أو تعلمنى الزمر! .....

فغضب الحجام وحلف ألا يحلق لحيته وانصرف، وبلغ سكينة الخبر وما جرى بينهما فضحكت وعفت عنه"[2].

وفى هذه الرواية الطويلة الطريفة نرى أشعب يمارس هوايته فى التمثيل المضحك ويقوم بالتنكر[3] مرتديًا ملابس يزيد بن عمرو بن عثمان

---

(١) سكينة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب: نبيلة شاعرة كريمة، من أجمل النساء وأطيبهن نفسًا، كانت سيدة نساء عصرها، تجالس الأجلة من قريش، وتجمع إليها الشعراء فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم فتفاضل بينهم وتجيزهم، وكانت وفاتها سنة ١١٧هـ. انظر: الأعلام ١٠٦/٣.

(٢) الأغانى، ١٧٥/١٩.

(٣) التنكر من وسائل الإضحاك المشهورة، ويقول برجسون عنه: "إن الرجل الذى يتنكّر مضحك، والرجل الذى يظن أنه متنكر مضحك أيضًا، وبالامتداد سيغدو كل تنكُّر مضحكًا، لا تنكر الإنسان فحسب، بل تنكر المجتمع أيضًا، بل تنكر الطبيعة كذلك".
انظر: الضحك، ص٣٥.

ابن عفان، مدعيًا أنه هو، ويجلس مع بعض النساء ويتحاور معهن، ثم يُكشف أمره، ويعاقب فى نهاية الرواية بشكل غريب، فيحبس فى بيت للدجاج، ويقوم بحضن بيض الدجاج الذى فيه حتى ينقب، وهاهى ذى تلك الرواية الطريفة التى تعرض لنا هذه الأحداث المضحكة عن أشعب.

قال ابن لأشعب: "كان أبى منقطعًا إلى سكينة بنت الحسين، وكانت متزوجة زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت محبةً له، فكان لا يستقر معها، تقول له: أريد الحج فيخرج معها، فإذا أفضوا إلى مكة تقول: أريد الرجوع إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة، قالت: أريد العمرة، فهو معها فى سفرٍ لا ينقضى.

وكانت قد حلفته بما لا كفارة له ألا يتزوج عليها ولا يتسرّى ولا يلم بنسائه وجواريه إلا بإذنها، وحج الخليفة فى سنةٍ من السنين فقال لها: قد حج الخليفة ولا بد لى من لقائه، قالت: فاحلف بأنك لا تدخل الطائف، ولا تلم بجواريك على وجه ولا سبب، فحلف لها بما رضيت به من الأيمان على ذلك، ثم قالت له: احلف بالطلاق، فقال: لا أفعل، ولكن ابعثى معى بثقتك، فدعتنى وأعطتنى ثلاثين دينارًا وقالت لى: اخرج معه، وحلفتنى بطلاق بنت وردان زوجتى ألا أطلق له الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب، فحلفت لها بما أثلج صدرها، فأذنت له فخرج وخرجت معه.

فلما حاذينا الطائف قال لى: يا أشعب، أنت تعرفنى وتعرف صنائعى عندك، وهذه ثلاثمائة دينار، خذها بارك الله لك فيها وأذن لى ألم بجوارىّ. فلما سمعتها ذهب عقلى ثم قلت: يا سيدى. هى سكينة، فالله الله فىّ، فقال: أوتعلم سكينة الغيب! فلم يزل بى حتى أخذتها وأذنت له، فمضى وبات عند جواريه.

فلما أصبحنا رأيت أبيات قومٍ من العرب قريبةً منا، فلبست حلة وشيٍ كانت لزيد قيمتها ألف دينار، وركبت فرسه وجئت إلى النساء فسلمت فرددن، ونسبننى فانتسبت نسب زيد، فحادثننى وأنسن بى.

وأقبل رجال الحى، وكلما جاء رجل سأل عن نسبى فخبر به هابنى وسلم علىّ وعظمنى وانصرف، إلى أن أقبل شيخ كبير منكر مبطون، فلما خُبِّر بى وبنسبى شال حاجبيه عن عينه، ثم نظر إلىّ وقال: وأبى ما هذه خِلْقَةُ قرشى ولا شمائله، وما هو إلا عبد لهم نادّ، وعلمت أنه يريد شرًّا، فركبت الفرس ثم مضيت، ولحقنى فرمانى بسهم فما أخطأ قَرْبُوسَ السرج، وما شككت أنه يلحقنى بآخر يقتلنى فسلحت – يعلم الله – فى ثيابى فلوثها ونفذ إلى الحُلَّة فصيرها شهرة.

وأتيت رَحْل زيد بن عمرو فجلست أغسل الحلة وأجففها، وأقبل زيد ابن عمرو، فرأى ما لحق الحلة والسرج، فقال لى: ما القصة؟ ويلك! فقلت: يا سيدى الصدق أنجى، وحدثته الحديث فاغتاظ ثم قال لى: ألم يكفك أن تلبس حلتى وتصنع بها ما صنعت، وتركب فرسى وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبى وفضحتنى، وجعلتنى عند العرب ولأَّجًا جَمَّاشًا[1]، وجرى عليك ذل نسب إلىّ، أنا نفىّ من أبى ومنسوب إلى أبيك إن لم أسؤك وأبلغ فى ذلك.

ثم لقى الخليفة وعاد ودخلنا إلى سكينة، فسألته عن خبره كله فخبرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه، فقالت: إيه وما كان من خبرك فى طريقك؟ هل مضيت إلى جواريك بالطائف؟ فقال لها: لا أدرى، سلى ثقتك.

---

(١) الولاج: الكثير الدخول. والجماش: المتعرض للنساء.

فدعتنى فسألتنى، وبدأت فحلفت لها بكل يمين محرجةٍ أنه ما مر بالطائف ولا دخلها ولا فارقنى، فقال لها: اليمين التى حلف بها لازمة لى إن لم أكن دخلت الطائف وبت عند جوارىّ وغسلتهن[1] جميعًا، وأخذ منى ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وحدثها الحديث كله وأراها الحلة والسرج.

فقالت لى: أفعلتها يا أشعب! أنا نفيةٌ من أبى إن أنفقتها إلا فيما يسوءك، ثم أمرت بكبس[2] منزلى وإحضارها الدنانير فأحضرت، فاشترت بها خشبًا وبيضا وسِرْجينًا، وعملت من الخشب بيتًا فحبستنى فيه وحلفت ألا أخرج منه ولا أفارقه حتى أحضن البيض كله إلى أن ينقب، فمكثت أربعين يومًا أحضن لها البيض حتى نقب، وخرج منه فراريج كثيرة فربَّتْهُنّ وتناسلن فكن بالمدينة يسمَّين بنات أشعب ونسل أشعب، فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نسل يزيد على الألوف، كلهن أهلى وأقاربى"[3].

وفى إحدى النوادر نرى أشعب يتوقع العقاب نظير أكلة مغرية أثار بعض الناس شهوته إليها.

"وقيل لأشعب: ما تقول فى ثريدة مغمورة بالزبد مشققة باللحم؟ قال: فأضرب كم؟ قيل له: بل تأكلها من غير ضرب. قال: هذا ما لا يكون، ولكن كم الضرب فأتقدم على بصيرة!"[4].

---

(١) غسلتهن: جامعتهن.

(٢) كبس دار فلان: هجم عليها فجأة وحاصرها.

(٣) الأغانى، ١٩/١٦٣- ١٦٥.

(٤) العقد الفريد، ٧/٢٣٠.

وأحيانًا نرى فردًا من أسرة المضحك يعاقب بشكل غريب يثير الضحك كما نرى فى عقاب أم أشعب فى هذه النادرة.

قيل: "بغت أم أشعب، فضربت، وحلقت، وحملت على بعيرٍ يطاف بها، وهى تقول: من رآنى فلا يزنينّ.

فأشرفت عليها ظريفة من أهل المدينة. فقالت لها: إنك لمطاعة!! نهانا الله عنه، فما ندعه، وندعه لقولك؟!"[1].

ولاستهتار أبى دلامة بأمور العبادة خاصة أداء الصلاة، ولشربه الخمر – فإنه تعرض للعقاب كثيرًا، وأحيانًا نراه يعاقب بشكل غريب مضحك كأشعب، فهو فى الرواية التالية يحبس كأشعب فى بيت الدجاج، ويصوّر لنا بشعره حاله وهو محبوس فى بيت الدجاج. وها هى ذى الرواية التى تعرض لنا هذا الموقف الغريب لأبى دلامة فى عقابه لشربه الخمر.

"وشرب أبو دلامة مع حماد عجرد، فأتى المهدى بأبى دلامة فقال: استنكهوه[2]؛ ففعلوا فوجدوا رائحة الخمر، فأحب أن يعبث به، فأمر الربيع أن يحبسه فى بيت الدجاج ويطين عليه الباب[3]، ففعل.

ثم أمر به بعد يومين فأخرج مُلَبَّبًا بطيلسانه، فأقيم بين يديه، فقال: يا عدو الله؛ أتشرب الخمر؟ أما إنى لأقيمن عليك الحد، ولا تأخذنى فيك لومة لائم، فأنشأ أبو دلامة:

---

(١) نثر الدر، ٣١٥/٥.

(٢) استنكهوه: شموا رائحته.

(٣) يطين عليه الباب: يغلقه بالطين كى لا يتمكن من فتحه.

أمـير المـؤمنين، فـدتك نفسـى عـلامَ حبستنى وخرقت ساجى
أقـاد إلى السـجون بغـير جُـرْمٍ كـأنى بعـضُ عمـال الخـراجِ
ولـو معهم حُبِست لكـان خيرًا ولكنـى حبسـت مـع الـدجاج
أمـن صـهباء! ريـحُ المسـك فيهـا ترقـرق فـى الإنـاء لـدى المـزاج
عقـار مثـل عـين الـديك صِـرْف كـأن شـعاعها لهـب السِّـراج
وقـد طُبخـت بنـار اللّه حتـى لقد صارت من النُّطَفِ النِّضَاجِ
وقـد كانـت تحـدثنى ذنـوبى بـأنى مـن عقابـك غـيرُ نـاجى
علـى أنـى وإن لاقيـت شـرًّا لخيرِك، بعد ذاك الشرِّ، راجِى

فأمر به فأقيم عليه الحد، ثم أمر له بأربعة آلاف درهم. فلما ولَّى قال الربيع: يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله:

وقـد طُبخـت بنـار اللّه حتـى لقد صارت من النُّطَفِ النضاج

قال: بلى، فما يعنى بذلك؟ قال: يعنى به الشمس. قال: ردوه نسأله عن ذلك. فلما حضر قال له المهدى: ما تعنى بنار اللّه؟ أتعنى بها الشمس؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكن نار اللّه الموقدة، التى تطلع على فؤاد الربيع مؤصدة، وعلى من أخبرك أنى عنيت بها الشمس مطبقة؛ فضحك المهدى وجلساؤه وعفا عنه، فذهب"[1].

وكذلك لاستهتار مُزَبِّد ببعض شرائع الدين نراه يعاقب بشكل غريب، كما تصور لنا هذا تلك النادرة.

---

(١) جمع الجواهر، ص١١٣- ١١٤، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٤٢/٤- ٤٤.

"وغضب عليه بعض الولاة، فأمر بحلق لحيته، فقال له الحجام: افتح فمك! فقال: الأمير أمرك بحلق لحيتى أو تعلمنى الزمر؟"[1].

بل إنه يعاقب من قبل أحد الولاة، ثم يكتشف براءته من التهمة التى عوقب من أجلها، ولا يغضب مزبد عند ذلك بل يرد بجواب مضحك كما نرى فى هذه النادرة.

"قال محمد بن حربٍ الهلالى: أُتيت بمزبدٍ فى تهمةٍ، فضربته سبعين دِرَّةً، ثم تبين لى أنه كان مظلومًا، فدعوته، وقلت: أَحِلَّنِى منها.

فقال: لا تعجل، ودعها لى عندك، فإنى أجىء إليك كثيرًا، فكلما وجب علىّ شىء قاصصتنى عليه.

فكنت أوتى به فى الشىء الذى يجب عليه فيه التقويم، فأحاسبه على العشرة منها وعلى الخمسة، حتى استوفَى"[2].

وأحيانًا يستطيع مزبد الإفلات من العقوبة – أو العقوبات – التى تقع عليه – لجرائم ارتكبها – باستخدامه حيله وظرفه فى الرد كما نرى فى هذه النوادر.

قيل: "إنه أخذه بعض الولاة، وقد اتهم بالشرب، فاستنكهه، فلم يجد منه رائحةً، فقال: قيئوه.

فقال مزبد: ومن يضمن عشائى أصلحك الله، فضحك منه وأطلقه"[3].

* * *

(١) أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٤، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٤٦/٣.

(٣) نهاية الأرب، ٢٠٤/٤، وانظر أيضًا: العقد الفريد، ١٤٤/٨، والبصائر والذخائر، ١٩٣/٥.

"دفع مرةً إلى والى مكة، وقد أفطر فى شهر رمضان، فقال له الوالى: يا عدو الله، تفطر فى شهر رمضان!

قال: أنت أمرتنى بذلك. قال: هذا شر، كيف أمرتك؟ ويلك. قال: حدثت عن ابن عباس: أنه من صام يوم عرفة عَدَلَ صومه سنةً، وقد صمته. فضحك الوالى وخلاه"[1].

* * *

"وشهد مزبد المدينى عند قاضى المدينة بشهادة؛ وكان ذلك القاضى مفرط الحدة، شديد البطش، سريع الطيرة، فقال له القاضى: "أعلىَّ تجترئ، وعندى تشهد؟! جُرًّا برجليه، وألقياه تحت البغلة"! فلما أمعنا به نحو البغلة، التفت إلى القاضى فقال: "أصلحك الله، كيف خُلُقها"؟ فضحك وخلَّى سبيله"[2].

ولكثرة تعرض مزبد للعقاب يظن أنه لا يمكنه أن ينال شيئًا ليس له إلا بعد أن ينال عقابه أولاً عن أخذه إياه، كما نرى فى هذه النادرة.

وقيل له: "أيسرك أن تكون هذه الجبة لك؟ قال: نعم، وأضرب عشرين سوطًا، قالوا: ولم تقول هذا؟ قال: لأنه لا يكون شىء إلا بشىءٍ"[3].

---

(١) نثر الدر، ٢٣٧/٣.

(٢) الجاحظ: القول فى البغال. تحقيق: شارل بلا. بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص٣٢.

(٣) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٩.

غيرة المضحك من المضحكين الآخرين وكياده معهم

وكثيرًا ما نرى المضحك يغار من ظهور مضحكين آخرين – فى البيئة التى يعيش فيها – يشاركونه إضحاك الناس وتسليتهم، والنادرة التالية تظهر لنا مدى غيرة أشعب من ظهور مضحك آخر يشاركه فى صناعته فى إضحاك الناس فى بيئته فى مكة والمدينة المنورة. ألا وهو الغاضرىّ، ويستطيع أشعب فى النادرة أن يظهر قدرات كبيرة له فى إضحاك الناس، ويعجز الغاضرى عن الإتيان بها؛ فيعترف لأشعب بأسبقيته عليه فى فن إضحاك الناس، وها هى ذى تلك النادرة.

"وقال مصعب: بلغ أشعب أن الغاضرىّ قد أخذ فى مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة استطابوه، فرقبهم حتى علم أنه فى مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم، فصار إليهم، ثم قال: قد بلغنى أنك قد نحوت نحوى، وشغلت عنى من كان يألفنى، فإن كنت مثلى فافعل كما أفعل، ثم غَضَّنَ وجهه وعَرَّضه وشنَّجه، حتى صار عرضه أكثر من طوله، وصار فى هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر فى سيف، ثم نزع ثيابه وتحادب، فصار فى ظهره حدبة كسنام البعير، وصار طوله مقدار شبر ... ثم قام فتطاول وتمدد وتمطى، حتى صار كأطول ما يكون من الرجال، فضحك القوم حتى أغمى عليهم، وقطع بالغاضرىّ فما تكلم بنادرة، ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره أبدًا، إنما أنا عبدك وتخريجك، ثم انصرف أشعب وتركه"[1].

---

(١) نهاية الأرب، ٣٠/٤.

بل إن المضحك يغار من ظهور مضحك آخر حتى لو كان هذا المضحك ابنه، ويحاول بكل وسائله فى الإضحاك أن يظهر تميّزه عليه فى إضحاك الناس، كما نرى أشعب مع ابنه فى تلك النادرة.

"كبر أشعب فملّه الناس وبرد عندهم، ونشأ ابنه فتغنّى وبكى وأندر، فاشتهى الناس ذلك، فأخصب وأجدب أبوه. فدعاه يومًا وجلس هو وعجوزه، وجاء ابنه وامرأته فقال له: بلغنى أنك قد تغنيت وأندرت وحظيت، وأن الناس قد مالوا إليك فهلم حتى أحايرك، قال: نعم، فتغنى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعد، وتغنى ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب، وانكسر أشعب، ثم أندر فكان الأمر كذلك، ثم خطا فكان الأمر كذلك، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه، ثم قال: نعم، فمن أين لك مثل خلقى؟ من لك بمثل حديثى؟ قال: وانكسر الفتى"[1].

وهذه نادرة أخرى نرى فيها أشعب يغار ويشتد حزنه لظهور مضحك آخر ينافسه فى صناعته.

"قال ابن كُليب: حَدَّثت مرة أشعب بملحةٍ فبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قُطِعت، وقد نشأت أنت فى موالىّ وأنا الآن أموت، فإنما أبكى على نفسى"[2].

وأحيانًا نجد عند اجتماع مضحكين كيادًا يدور بينهما، ومشاكسة طريفة تصوِّر لنا جانبًا من المداعبات الطريفة التى كانت تدور بين المضحكين حين اجتماع بعضهم مع بعض، كما فى هذه النادرة التى تعرض لنا خصومة طريفة بين أبى نواس والجماز.

---

(١) الأغانى، ١٤٥/١٩.

(٢) المصدر السابق، ١٥٥/١٩.

"ولما مرض أبو نُواس دخل عليه الجَمَّاز يعوده. فقال: اتق الله، فكم من مُحْصنةٍ قد قذفت، ومن سيئة قد اقترفت، وأنت على هذه الحال؛ فتب قبل الموت.

فقال: صدقت. ولكن لا أفعل! قال: ولم؟ قال: مخافة أن تكون توبتى على يد واحدٍ مثلك"[1].

ويصاب أبو العيناء بالغيرة حين يسمع نادرة عن الجماز يسخر فيها من شخص يعرفه.

"قال السُّدِّىّ للجماز: ولد لى البارحة مولود كأنه دينار منقوش فقال له الجماز: لاعن أمه ويحك! فبلغت النادرة أبا العيناء، فقال: بودى أنها لى بجميع ما قلته"[2].

ومع ذلك فليست علاقة المضحكين المعاصرين بعضهم لبعض – فى كل الأحوال – علاقة خصومة وغيرة، بل أحيانًا توجد صحبة بين بعض المضحكين[3].

وأحيانًا نجد مضحكًا يروى نوادر وحكايات من قبله من المضحكين، بل إنه يقوم – أحيانًا – بأفعال غريبة تدل على سيره على منهاج من كان قبله من المضحكين كصنيع أبى العبر الذى كان نقش خاتمه "توفى جحا يوم الاربعاء"[4].

---

(١) جمع الجواهر، ص٢٤٩.

(٢) البصائر والذخائر، ٤٦/٢.

(٣) من ذلك ما يروى من علاقة بين أبى حبيب مضحك المهدى ومزبد، وتروى عنهما هذه النادرة التى تصوّر العلاقة بينهما. "كان أبو حبيب مضحك المهدى يحفظ نوادر مزبد ويحكيها له فيصله، فقال له مزبد: بأبى أنت أنا أزرع وأنت تحصد". انظر: جمع الجواهر، ص٣٧.

(٤) جمع الجواهر، ص٨٢.

بعض المضحكين اتصفوا بصفات خاصة بهم

وإلى جانب هذه الصفات السابقة التى اتصف بها كثير من المضحكين، أو اشترك الكثير منهم فى مجموعة صفات منها – فإن هناك صفات أخرى اتصف كل مضحك بصفة منها لازمته فى كثير من نوادره وأخباره الطريفة، فهذا أشعب اشتهر بشدّة الطمع، وجحا اشتهر فى نوادره وحكاياته – التى تذكر فى أقدم المصادر التى تحدثت عنه – بالحمق، وكان مزبد متشائمًا، وعُرِف عن أبى صدقة كثرة إلحاحه فى المسألة.

وصار كل مضحك من هؤلاء المضحكين لا يذكر إلا وتذكر – غالبًا – تلك الصفة التى اشتهر بها معه، بل أضيفت لكل واحد منهم نوادر وحكايات طريفة كثيرة تتفق مع الصفة التى اشتهر بها، شأنهم فى ذلك شأن مجنون ليلى قيس بن الملوح الذى نسب له كثير من الغزل العذرى فى ليلى بوجه خاص.

وسوف نتناول الآن هؤلاء المضحكين، ونذكر بعض النوادر والحكايات الطريفة التى تتعلق بالصفة التى اشتهر بها كل واحد منهم.

شهرة أشعب بصفة الطمع

لا يكاد يذكر اسم أشعب قديمًا وحديثًا إلا ويتبعه صفة الطمع وصفة الطفيلية أيضًا[1]، وقد جاء عن أشعب فى بعض المصادر: "وأشعب

---

(١) وقد أكد توفيق الحكيم اتصاف أشعب بالطفيلية بكتابه أشعب ملك الطفيليين أو "قصة حياة معدة" وفيه نسب لأشعب نوادر وحكايات كثيرة عن التطفيل، وأكثرها فى المصادر القديمة منسوب لغير. انظر: توفيق الحكيم: أشعب ملك الطفيليين. مكتبة مصر. دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه، ١٩٩٠م.

هذا هو الموصوف بالطمع. وقيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: لم تقل هذا إلا وفى نفسك خير تصنعه بى"[1].

ونحن نذكر بعض النوادر التى تؤكد اتصافه بالطمع.

"قال أبو عاصم النبيل: رأيت أشعب وسأله رجل: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما زُفَّتْ عروس بالمدينة إلى زوجها قط إلا فتحت بابى، رجاء أن تهدى إلىّ"[2].

* * *

"ومن عجيب أخباره أنه لم يمت شريف قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب على وصيته، أو وارثه، وقال له: احلف أنه لم يُوصِ لى بشىءٍ قبل موته"[3].

* * *

وقيل له: "ما بلغ من طمعك؟ قال: لم أنظر إلى اثنين يتسارّان إلا حسبت أنهما يأمران لى بشىءٍ!"[4].

وقام أشعب بعمل غريب طريف، يدل على شدّة طمعه، وتصوّره لنا هذه النادرة.

"كان لأشعب خَرْقٌ فى بابه، فكان ينام، ثم يخرج يده من الخرق يطمع فى أن يجىء إنسان يطرح فى يده شيئًا من شدة الطمع.

---

(١) نثر الدر، ٣١٤/٥، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، ٢٧/٤.

(٢) الأغانى، ١٧٩/١٩، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٢٠٥.

(٣) نثر الدر، ٣١٤/٥.

(٤) العقد الفريد، ١٣٦/٨، وانظر أيضًا: الأغانى، ١٥٣/١٩.

فبعث إليه بعض من كان يعبث به من مُجَّان آل الزبير بعبدٍ له فسلح فى يده، فلم يعد بعدها إلى أن يخرج يده"[1].

وهذه نادرة أخرى تشير إلى اتصافه بالطمع الشديد، والطفيلية أيضًا.

"وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خوصٍ فقال: لتكبّريه، فقالت: لم؟ أتريد أن تشتريه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدى إلىّ فيه، فيكون كبيرًا خيرٌ من أن يكون صغيرًا"[2].

بل إن أشعب الطمع قد حسد كلبًا؛ لأنه رآه – فى ظنه – أشد طمعًا منه.

وقيل له: "هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم. كلب أم حومل، تبعنى فرسخين، وأنا أمضغ كُنْدرًا[3] ولقد حسدته على ذلك"[4].

ويعلِّلُ أشعب فى نادرة سبب تمسّكه بصفة الطمع، مع يسْر حاله، فقد قال شخص:

"رأيت أشعب بالمدينة يقلب مالاً كثيرًا فقلت له: ويحك ما هذا الحرص! ولعلك أن تكون أيسر ممن تطلب منه. قال: إنى قد مهرت فى هذه المسألة، فأنا أكره أن أدعها فتنفلت منى"[1].

---

(١) الأغانى، ١٦٦/١٩.

(٢) المصدر السابق، ١٥٠/١٩، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٦٧، والعقد الفريد، ١٣٦/٨، ونثر الدر، ٣١٦/٥.

(٣) الكندر: نوع من اللبان نافع للبلغم.

(٤) نثرالدر، ٣١٨/٥، وتنسب لأشعب نادرة معناها قريب من هذه النادرة فى زهر الآداب، ١٦٢/١، وجمع الجواهر، ص٦٧.

شهرة جحا بالحمـق

وبالنظر إلى أقدم المصادر التى تحدثت عن جحا، وذكرت نوادره، وحكاياته المضحكة – فإنها تكاد تتفق على وصفه بالحمق، وتروى له نوادر وحكايات طريفة كثيرة، تشير لاتصافه بالحمق.

وها هى ذى بعض النوادر التى نرى جحا فيها أحمق فى تصرفاته وأقواله.

"ومر يومًا بصبيان يلعبون ببازٍ ميت، فاشتراه منهم بدرهم وحمله إلى البيت، فقالت أمه: ويحك ما تصنعُ به وهو ميت؟

فقال لها: اسكتى، فلو كان حيًّا ما طمعت فى شرائه بمائة درهم"(٢).

* * *

"وحمل جرة خضراء إلى السوق يبيعها، فقالوا: هى مثقوبة. فقال: ليس تسيل، فإنه كان فيها قطن لوالدتى، فما سال منه شىء"(٣).

* * *

(١) الأغانى، ١٥١/١٩، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٣١٧/٥.

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٩١.

(٣) نثر الدر، ٣٠٩/٥، وانظر أيضًا: البصائر والذخائر، ١٠٦/٥.

"قال جحا لأمه: اخبزى، قالت: ليس لنا دقيق، قال: فاخبزى فطير"[1].

* * *

"نام جحا مع أمه فضرطت، فأحبت أن تعلم ما عنده فقالت: يا أبا الغصن هل صاح الديك؟ فقال: أما ديكك فقد صاح، وأما ديوك الناس لا"[2].

* * *

"وقال له أبوه يومًا: احمل هذا الحُبَّ فقيّرْهُ[3].

فذهب به، وقيره من خارج، فقال أبوه: أسخن الله عينك: رأيت من قير الحُبّ من خارج؟

فقال جحا: إن لم ترض – عافاك الله – فاقلبه مثل الخفِّ حتى يصير القير[4] من داخل"[5].

* * *

"وماتت لأبيه جارية حبشية: فبعث به إلى السوق ليشترى لها كفنًا، فأبطأ عليه حتى أنفذ غيره، وحُمِلَ الكفن، وحملت جنازتها.

---

(١) البصائر والذخائر، ١١/٩.

(٢) المصدر السابق، ١٦٦/٥.

(٣) قير: أى طلاه بالقار، وهو الزفت.

(٤) القير: هو القار أيضًا.

(٥) نثر الدر، ٣١١/٥، وانظر أيضًا: البصائر والذخائر، ١٠٠/٤.

فجاء جحا – وقد حملت – فجعل يعدو فى المقابر، ويقول: رأيتم جنازة جارية حبشية، كفنها معى؟"[1].

* * *

"وخرج أبوه مرة إلى مكة، فقال له عند وداعه: باللّه لا تطلْ غيبتك، واجتهد أن تكون عندنا فى العيد لأجل الأضحية"[2].

* * *

"مات أخ لجحا فقالت له أمه: اذهب فاشتر الكفن والحنوط، قال: لا أذهب، ابعثوا غيرى، قالوا: لِمَ؟ قال: أخاف أن تفوتنى الجنازة"[3].

* * *

"دخل جحا البيت فإذا جارية أبيه نائمة، فاتكأ عليها فانتبهت وقالت: من ذا؟ قال: اسكتى أنا أبى"[4].

* * *

"مات أبو جحا فلم يشيع جنازته، فقيل له: لِمَ فعلت كذا؟ قال: قال النبى صلى اللّه عليه وعلى آله: لا يتبع مُوَلٍّ، قالوا: ويحك. ذاك فى الحرب، قال: أنا آخذ بالثقة"[5].

---

(١) نثر الدر، ٣٠٨/٥.

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٩١.

(٣) البصائر والذخائر، ١٧٩/٧.

(٤) المصدر السابق، ١٦٦/٥.

(٥) المصدر السابق، ١٠٧/٥.

وتشير النوادر التى تتحدث عن زواجه إلى قيامه بأفعال غريبة، لا تصدر إلا عن حمقى، كما نرى فى هذه النوادر.

"وبات ليلة مع صبيان له، فجعلوا يفسون. فقال لامرأته: هذا – والله – بلية، قالت: دعهم يفسون فإنه أدفأ لهم.

فقام، وخرى وسط البيت، ثم قال: أنبهى الصبيان حتى يصطلوا بهذه النار"[1].

وكذلك يتصرف عند موت ابنة له بشكل يدل على حمقه، كما نرى فى هذه النادرة.

"وماتت ابنة له فذهب ليشترى لها كفنًا، فلما بلغ البزازين[2] رجع مسرعًا، فقال: لا تحملوها حتى أجىء أنا"[3].

وله أخبار مع بعض الشخصيات البارزة فى العصر العباسى الأول، وهى أيضًا تشير لحمقه، كهذا الخبر.

"فمن حمقه أن عيسى بن موسى الهاشمى[4] مر به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعًا فقال له: ما لك يا أبا الغصن؟

قال: إنى قد دفنت فى هذه الصحراء دراهم ولست أهتدى إلى مكانها، فقال عيسى: كان يجب أن تجعل عليها علامة، قال: قد فعلت، قال: ماذا؟ [قال:] سحابة فى السماء كانت تظلها، ولست أرى العلامة!"[5].

---

(١) نثر الدر، ٣١١/٥- ٣١٢، وانظر أيضًا: البصائر والذخائر، ١٠٠/٤.

(٢) البزاز: بائع البز، والبز: الثياب، أو متاع الثياب.

(٣) نثر الدر، ٣١٢/٥.

(٤) عيسى بن موسى الهاشمى، كان ولى العهد من بعد المهدى، ولكن عيسى توفى سنة ١٦٧هـ.

(٥) مجمع الأمثال، ٣٩٦/٢- ٣٩٧.

وهـا هـى ذى نـوادر أخـرى، وردت فـى مصـادر قديمـة تشـير لحمـق جحـا، ممـا يجعلنـا – كمـا قلنـا مـن قبـل – نثـق – إلى حـد كـبير – إلى أن جحـا كـان شخصـية حقيقيـة وكـان موصـوفًا بـالحمق – أو التحـامق علـى الأقل–، ونسبت له أخبار كثيرة حول هذه الصفة، ولعل بعض ما نذكره من نوادر وأخبار هنا مما نسب لجحا لشهرته بالحمق.

"وحكى أن جحا تبخر يومًا، فاحترقت ثيابه، فغضب، وقال: والله لا تبخرت إلا عريانًا"[1].

* * *

"وصلى بقوم – وفى كمه جرو كلب – فلما ركع سقط الجرو، وصاح، وتنحنح الناس.

فالتفت إليهم، وقال: إنه سَلُوقِىّ[2] عافاكم الله"[3].

* * *

"جاز جحا بقومه وفى كمه خوخ فقال لهم: من أخبرنى بما فى كمى فله أكبر خوخة فيه. فقالوا: خوخ. فقال: ما قال لكم إلا من أمه زانية"[4].

* * *

(١) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٧، وانظر أيضًا: البصائر والذخائر، ١٠٨/٥.

(٢) السلوقى: نوع من الكلاب غالى الثمن.

(٣) نثر الدر، ٣٠٨/٥.

(٤) البصائر والذخائر، ١٠٠/٤.

"واجتاز بامرأة تندب على زوجها، فقال لها: ما كان صنعة زوجك؟ قالت: كان حفار القبور، قال: أفلم يعلم القواد أنه من حفر لأخيه حفرة فسوف يقع فيها"[1].

* * *

"وذكروا عنده الضراط وقيل: هو شؤم فقال: وما شؤمه؟ قالوا: يبدد الجماعات، ويفرق الشمل. قال: فهذا باطل. أهل السجن يضرطون الليل والنهار ولا يفترقون"[2].

* * *

"واشترى يومًا دقيقًا وحمله على حمال، فهرب بالدقيق.

فلما كان بعد أيام رآه جحا، فاستتر منه، فقيل له: ما لك تفعل كذا؟ فقال: أخاف أن يطلب منى كراه"[3].

* * *

قيل لجحا: أتعلمت الحساب؟ قال: نعم. فما يشكل علىّ شىء منه. فقيل له: أقسم أربعة دراهم على ثلاثة. فقال: لرجلين درهمان. درهمان، وليس للثالث شىء[4].

* * *

---

(١) المصدر السابق، ١٠٧/٥.

(٢) المصدر السابق، ١٠٦/٥.

(٣) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٧.

(٤) نثر الدر، ٣٠٧/٥.

"واجتاز يومًا بباب الجامع، فقال: لمن هذا القصر؟ قالوا له: هذا مسجد الجامع. قال: رحم الله جامعًا، ما أحسن ما بنى مسجده؟؟"[1].

شهرة أبى صدقة بالإلحاح فى المسألة

وأبو صدقة أحد المضحكين الذين ظهروا فى قصر الرشيد، ونظن أيضًا أنه كان بالأساس مضحكًا لعامة الناس.

واشتهر أبو صدقة بكثرة سؤاله وإلحاحه فى المسألة حتى ليروى.

"عوتب أبو صدقة على كثرة إلحاحه فى المسألة، فقال: وما يمنعنى من ذلك، واسمى مسكين وكنيتى أبو صدقة وابنتى فاقة وابنى صدقة، فمن أحق بهذا منى؟"[2].

وهناك حكاية طريفة تصوّر جانبًا من حياة الرشيد فى لهوه فى قصره وحوله بعض ندمائه ومضحكيه ومنهم ابن أبى مريم المدينى وأبو صدقة. وإليكم هذه الحكاية الطريفة التى تؤكد فى الوقت نفسه اتصاف أبى صدقة بصفة الإلحاح فى المسألة.

"وكان الرشيد يعبث به كثيرًا، فقال ذات يوم لمسرور: قل لابن جامع وإبراهيم الموصلى وزبير بن دَحْمان وزلزل وبرصومًا وابن أبى مريم المدينى: إذا رأيتمونى قد طابت نفسى، فليسأل كل واحدٍ منكم حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبى صدقة، فقال لهم مسرور ما أمر به الرشيد، ثم أذن الرشيد لأبى صدقة قبل إذنه لهم.

---

(١) المصدر السابق، ٣٠٩/٥، وانظر أيضًا: أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٨.

(٢) نهاية الأرب، ٤٨/٤.

فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، لقد أضجرتنى بكثرة مسألتك وأنا فى هذا اليوم ضجر وأحببت أن أتفرح وأفرح ولست آمن أن تنغص علىّ مجلسى بمسألتك، فإما أن تعفينى أن تسألنى اليوم حاجة وإلا فانصرف، فقال له: لست فى يومى هذا إلى شهر أسالك حاجة، فقال له الرشيد: أما إذ شرطت على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار وها هى ذهِ فخذها معجلة فإن سألتنى شيئًا بعدها فى هذا اليوم فلا لوم علىّ إن لم أصلك بشىء، فقال: نعم وسنتين، فقال له الرشيد: زدنى فى الوثيقة، فقال: قد جعلت أمر أمِّ صدقة فى يدك فطلقها متى شئت، إن شئت واحدة وإن شئت ألفًا إن سألتك فى يومى هذا حاجة، وأشهدت الله ومن حضر على ذلك.

فدفع إليه المال ثم أذن للجلسة والمغنين فدخلوا وشرب القوم. فلما طابت نفس الرشيد، قال له ابن جامع: يا أمير المؤمنين قد نلت منك ما لم تبلغه أمنيتى وكثر إحسانك إلىّ حتى كبتَّ أعدائى وقتلتهم وليس لى بمكة دار تشبه حالى، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بمالٍ أبنى به دارًا وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائى وأزهق نفوسهم فعل.

فقال له: وكم قدّرت لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار فأمر له بها.

وقام إبراهيم الموصلىّ فقال: يا أمير المؤمنين قد ظهرت نعمتك علىّ وعلى الكبار من ولدى، وفى أصاغرهم من أحتاج ختانه، وفيهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدمًا فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتى على ذلك فعل، فأمر له بمثل ما أمر به لابن جامع.

وجعل كل واحد منهم يقول فى الثناء ما يحضره، ويسأل حاجته على قدر جائزته وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرق يمينًا وشمالاً، فوثب قائمًا ورمى بالدنانير من كمّه وقال للرشيد: أقلنى أقال الله عثرتك، فقال الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلح والرشيد يضحك ويقول: ما لى إلى ذلك سبيل، الشرط أملك، فلما عيل صبره أخذ الدنانير ورمى بها بين يدى الرشيد وقال: هاكها قد رددتها عليك وزدتك أم صدقة فطلقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفًا وإن لم تلحقنى بجوائز القوم فألحقنى بجائزة هذا البارد عمرو الغَزَال وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار، فضحك حتى استلقى ثم ردّ عليه الخمسمائة دينار وأمر له بألفٍ أخرى معها، وكان ذلك أكثر ما أخذ منه خدمه إلى أن مات، رحمة الله عليهم"[1].

تعليقات المضحك

تعد التعليقات المضحكة – التى يتضمن بعضها السخرية – هى أكثر وسائل الإضحاك التى استخدمها المضحكون. وقل أن نجد مضحكًا لا توجد له نوادر أو حكايات طريفة، يوجه فيها تعليقاته المضحكة ساخرًا فيها من شخص ما أو من طائفة معينة من الناس، أو من سلوك معين.

ويبدو المضحك خلال تعليقاته المضحكة شخصًا ظريفًا، ذكيًّا سريع البديهة، حاضر الرد على من يناوشه الكلام أو يتعرض لخصومته. وهو يتلاعب بالكلام، ويرتب العبارات والأفكار بصورة تجعل الناس يضجون بالضحك[2].

---

(١) نهاية الأرب، ٤٨/٤ – ٤٩.

(٢) علم المسرحية، ص٣٠١، وانظر أيضًا: د. حسين خريوش: أدب الفكاهة الأندلسى "دراسة نقدية تطبيقية". الأردن، منشورات جامعة اليرموك، ص٦.

ونعرض هنا لأهم المضحكين الذين ذكرت لهم تعليقات مضحكة، تتضمّن سخرية فى الغالب من بعض الناس أو بعض الجماعات، وأحيانًا تتضمن نقدًا سياسيًّا أو اجتماعيًّا.

تعليقات أشعب

نظن أن أشعب هو خير مثال للمضحك الذى استخدم فى إضحاكه كل الوسائل التى استخدمها المضحكون، فهو استخدم قبحه، وشرهه للطعام، وطمعه، وطفيليته، وقدرته على التمثيل وصناعة الحيل، وتعليقاته الساخرة، وغير ذلك من الوسائل التى يستخدمها المضحكون لإضحاك الناس.

وها هى ذى بعض تعليقات أشعب الساخرة ذُكرت خلال بعض النوادر، يسخر فيها من بعض الأشخاص.

"ونظر أشعب إلى شيخٍ قبيح الوجه، فقال: ألم ينهكم سليمان بن داود عن أن تخرجوا بالنهار!"[1].

* * *

"ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم، فقيل له: يا أبا العلاء، أتعرف فلانًا؟ قال: ليس هذا من الأسماء التى عرضت على آدم"[2].

ولأشعب بعض التعليقات فى نوادر له تتعلق بالنساء، فهو فى نادرة يتبع امرأة ويستخدم ظرفه فى كلامه معها لعلها تقع فى حبائله.

---

(١) يلمح بهذا أشعب إلى أن ذلك الرجل القبيح الوجه هو من الجن، والنادرة فى العقد الفريد، ١٣٦/٨.
(٢) الأغانى، ١٥٣/١٩.

"وتبع مرةً امرأةً فقالت له: وما تصنع بى ولى زوجٌ؟ قال: فَتَسرِّى بى، فديتك"[1].

ونجده مع امرأة أخرى شهرت بمجونها، يعلق على رغبتها فى التوبة بأسلوب مضحك.

"سمع أشعب حُبّى المدينية تقول: اللهم لا تمتنى حتى تغفر لى ذنوبى، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألى الله المغفرة إنما سألتيه عمر الأبد، يريد أنه لا يغفر لها أبدًا"[2].

وخلال أحد تعليقاته الساخرة نراه يستخدم طريقة الاحتمالات المستحيلة ليثير الضحك، وفى الوقت نفسه ليؤكد على أنه لا يمكن لأحد أن يخدعه.

"ساوم أشعب رجلاً بقوسٍ، فقال: أقل ثمنها دينار. قال أشعب: والله لو أنك إذا رميت بها طائرًا فى السماء وقع مشويًّا بين رغيفين، ما اشتريتها منك بدينار أبدًا!"[3].

تعليقات مُزَبِّد

واشتُهر أيضًا مزبد بتعليقاته الساخرة، والتى يدل بعضها على أنه كان فقيرًا – على الأقل فى بداية حياته – كما يصوِّر لنا هذا تلك النادرة.

---

(١) نثر الدر، ٣١٨/٥.

(٢) الأغانى، ١٥٤/١٩.

(٣) العقد الفريد، ١٣٥/٨، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص٦٧، والأغانى، ١٥٤/١٩.

"وطلب من داره بعض جيرانه مِلْعَقةً، فقال: ليت لنا ما نأكله بالأصابع"[1].

ونرى لمزبد بعض التعليقات الساخرة – من بعض الأشخاص – تدل على حضور بديهته فى التعليق على هؤلاء الأشخاص، ورد فعله الساخر نحوهم. وها هى ذى بعض النوادر التى فيها تعليقات ساخرة من مزبد لبعض الأشخاص.

"وزفت إليه امرأة قبيحة، فقيل له: بمَ تصبحها؟ قال: بالطلاق"[2].

* * *

قيل لمزبد: "إن فلانًا الحفار قد مات، فقال: أبعده الله، من حفر حفرة سوءٍ وقع فيها"[3].

* * *

"ونام مرةً بالمسجد، فدخل رجلٌ فصلى. فلما فرغ قال: يا رب، أنا أصلى وهذا نائم.

فقال مزبد: يا ابن أمّ، سل ربك حاجتك. ولا تُحَرِّشْهُ[4] علينا"[5].

وخلال تعليق له بإحدى النوادر تبدو سخريته من أحد الاعتقادات الشعبية، التى لا أصل لها من سند شرعى أو دليل عقلى.

---

(١) نثر الدر، ٢٣٨/٣.

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين، ١٣٨، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٤٥/٣.

(٣) أخبار الحمقى والمغفلين، ص٣٩.

(٤) حرش القوم: أغرى بينهم.

(٥) نثر الدر، ٢٣٨/٣.

"قيل لمزبد وقد عضه كلب: إن أردت أن يسكن فأطعم الكلب الشريد، فقال: إذًا لا يبقى فى الدنيا كلبٌ إلاَّ جاءنى وعضنى"[1].

وتبدو خلال بعض تعليقاته – فى بعض النوادر – ثقافته الدينية العميقة؛ ولذا ينتقد سلوك بعض الناس من العوام الذين اعتقدوا أن هبوب ريح عاصفة تعنى قيام الساعة. وها هى ذى النادرة التى فيها هذا الأمر.

"هبت ريح شديدة فصاح الناس: القيامة، القيامة، فقال مزبد: هذه قيامة على الريق بلا دجّال، ولا دابة، ولا القائم، ولا عيسى بن مريم، ولا يأجوج ومأجوج"[2].

ولمزبد بعض التعليقات على أشخاص ينتمون للإسلام، ولكنهم ينحرفون عن منهجه القويم، فتكون تعليقات مزبِّد سوطًا رادعًا لهم، كما نرى فى هذه النادرة التى ينتقد فيها شخصًا كان نصرانيًّا فأسلم، وعمل عملاً قبيحًا بعد إسلامه.

"أسلم نصرانى، وفعل فى الإسلام فعلاً قبيحًا، فقال مزبد: انظروا إلى هذا الذى أسخط المسيح، ولم يرض محمدًا"[3].

وكذلك ينتقد مزبد علويًّا – يتباهى بانتمائه لأسرة النبى ﷺ – لسوء خلقه ولعبثه به.

---

(١) المصدر السابق، ٢٤٤/٣.

(٢) نهاية الأرب، ٢٤/٤.

(٣) نثر الدر، ٢٣٧/٣، وبالطبع من يسلم من النصارى لا يسخط المسيح؛ لأن المسيح بشّر بمحمد ﷺ.

"ودخل على بعض العلوية، فجعل يعبث به ويؤذيه، فتنفس مزبد الصعداء وقال: صلوات الله على المسيح، أصحابه منه فى راحةٍ. لم يخلف عليهم ولدًا يؤذيهم"[1].

ونرى مزبدًا خلال بعض تعليقاته واسع الحجة، قويًّا فى الجدل مفحمًا لمن يحاوره، غزير الثقافة، كما يصوِّر لنا هذا هاتان الروايتان.

"ورأى مزبدًا رجل بالرَّها[2]، وعليه جُبَّة خزٍّ، وكان قد خرج إليها فحسنت حاله، وقال: يا مزبد، هب لى هذه الجبة.

فقال: ما أملك غيرها، فقال الرجل: فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[3].

فقال: والله أرحم بعباده أن يُنَزِّل هذه الآية بالرَّها، فى كانون وكانون[4]، وإنما نزلت بالحجاز فى حزيران وتموز"[5].

* * *

"وأتاه أصحاب له يومًا، فقالوا له: يا أبا إسحاق، هل لك فى الخروج بنا إلى العقيق، وإلى قُباء، وإلى أحد ناحية قبور الشهداء؛ فإن يومنا كما ترى يوم طيب.

---

(١) المصدر السابق، ٢٤٣/٣.

(٢) الرها: مدينة كبيرة بين الموصل والشام.

(٣) سورة الحشر، من الآية ٩.

(٤) ربما يقصد كانون الأول وكانون الثانى وهما من أشهر الشتاء.

(٥) حزيران وتموز: من أشهر الصيف، والنادرة فى: نثر الدر، ٢٣٤/٣.

قال: اليوم يوم الأربعاء ولست أبرح من منزلى. قالوا: وما تكره؟ يوم الأربعاء فيه ولد يونس بن مَتَّى عليه السلام.

قال: بأبى وأمى أنتم فقد التقمة الحوت. قالوا: فهو اليوم الذى نُصِرَ فيه النبى عليه السلام يوم الأحزاب.

قال: أجل، ولكن بعد ﴿إِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[1]، وظنوا بالله الظنون"[2].

تعليقات أبى الحارث جُمَّيْن

نرى فى تعليقات أبى الحارث جمين بلاغة التعبير، والقدرة العالية على التصوير، والابتكار فى الصور التى يأتى بها، إلى جانب أنها تحتاج إلى شىء من التفكير للنظر إلى ما وراءها من نقد لاذع.

وها هى ذى بعض تعليقاته التى نرى فيها هذه السمات الفنية واضحة.

وقال له الرشيد: "لم لا تدخل على محمد بن يحيى؟ فقال: أدخل والله يا أمير المؤمنين، وأنا أكسى من الكعبة، وأخرج وأنا أعرى من الحجر الأسود"[3].

* * *

(١) سورة الأحزاب، من الآية ١٠.

(٢) تمام الآية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ سورة الأحزاب، الآية ١٠، والنادرة فى نثر الدر، ٣/٢٣٣.

(٣) نثر الدر، ٣/٢٥٠.

قيل لأبى الحارث جمين: "كيف وجه محمد بن يحيى على غدائه؟ قال: أما عيناه فعينا مجنون"[1].

* * *

قيل لأبى الحارث جمين: "تغديت عند فلان؟ قال: لا، ولكنى مررت ببابه وهو يتغدَّى. قيل: وكيف علمت ذلك؟

قال: رأيت غلمانه بأيديهم قِسِىّ البنادق يرمون الطير فى الهواء!"[2].

* * *

"وجاء إليه رجل يسأله شيئًا، وقال: قد قُطِعَ علىَّ الطريق. قال: فعلىّ إذًا قُطِع الطريق"[3].

* * *

قيل لأبى الحارث جمين: "ما فعل فلان؟ قال: مات، قيل: ما ورثت امرأته؟ قال: أربعة أشهر وعشرًا"[4].

تعليقات الجَمَّاز

ويتميز الجماز فى ردوده وتعليقاته بالسخرية اللاذعة، التى ينال بها ممن يوجه إليهم نقده وتعليقه، ومثل هذه التعليقات نظن أنها قد هجَّنتْ

---

(١) البخلاء للجاحظ، ص٧٢.

(٢) البخلاء للخطيب البغدادى، ص٧٢.

(٣) نثر الدر، ٢٤٩/٣.

(٤) يكنى بذلك إلى أنها لم ترث منه شيئًا سوى فترة العدة، والنادرة فى: أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٤٢.

قدر من وجهت إليهم؛ لأنها سارت فى الناس من خلال النوادر التى حملتها، وانتشرت انتشار النار فى الهشيم.

وها هى ذى بعض تعليقات الجماز الساخرة خلال بعض النوادر.

وقال رجل للجماز: "أشتهى أن أرى الشيطان. فقال له: انظر فى المرآة فإنك تراه"[1].

* * *

وقال له رجل: "أنا وجع من دُمَّلٍ فىَّ. قال له: وأين هى؟ قال: فى أخس موضعٍ منى، قال: كذبت؛ لأنى لا أرى فى وجهك شيئًا"[2].

* * *

"ودخل عليه ثقيل يعوده من مرضه. فلما نهض قال للجماز: تأمر بشىءٍ. قال: نعم بترك العودة"[3].

* * *

وقال له رجل: "يا أبا عبد الله، أنا رجل جامد العين، لو مات أبى ما بكيت، ولكن إذا سمعت الصوت الفريح من الوجه المليح، بكيت حتى أغمى علىّ فعلام يدل هذا؟

قال: على أنك لا تفلح أبدًا"[4].

* * *

---

(١) جمع الجواهر، ص١١٤.

(٢) المصدر السابق، ص١١٤، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٥٢/٣.

(٣) نثر الدر، ٢٥٥/٣.

(٤) جمع الجواهر، ص١١٤.

وقيل للجماز: "رأيناك فى دهليز[1] فلانٍ، وبين يديك قصعة، وأنت تأكل، فمن أى شىء كانت القصعة، وأى شىء كان فيها؟

قال: قىء كلب فى قِحْفِ[2] خنزير"[3].

* * *

"ودفع إلى القَصَّار قميصًا ليغسله، فضيقه،ورد عليه قميصًا صغيرًا فقال: ليس هذا قميصى. قال: بلى هو قميصك ولكنه توَّزِىّ[4] وفى كل غسلة يتقلَّص ويقصر.

فقال الجماز: فأحب أن تعرفنى فى كم غسلةٍ يصير القميص زِرًّا"[5].

تعليقات أبى العينـــاء

ونختم حديثنا حول تعليقات المضحكين الساخرة بالحديث عن تعليقات أبى العيناء. وفى رأيى أن أبا العيناء هو صاحب أظرف تعليقات ساخرة فى كل النوادر والحكايات الطريفة التى وصلتنا حتى نهاية حكم المتوكل.

ولعله صاحب أظرف تعليقات ساخرة فى تراثنا العربى القديم على الإطلاق.

---

(١) الدهليز: المدخل بين الباب والدار.

(٢) القحف: إناء من خشب يكون على هيئة جمجمة رأس الإنسان، ويطلق أيضًا على إناء من خشب يكون على هيئة جزء من الجمجمة.

(٣) البخلاء للجاحظ، ص٧٣.

(٤) توزى: نسبة إلى توز فى بلاد الفرس، وكانت تصنع فيها الثياب.

(٥) نثر الدر، ٢٢٦/٣، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٠٤- ١٠٥.

والتعليق الساخر الناقد هو أسلوبه المفضل فى النيل ممن ينتقصه وفى إضحاك من حوله عليه.

وقلما تروى نادرة عن أبى العيناء – أو حكاية طريفة – إلا ونجد أن وسيلته للسخرية والإضحاك فيها هى التعليق الساخر.

وقلما يستخدم وسائل أخرى للإضحاك ممن ينتقصهم وينتقدهم غير هذه الوسيلة.

وتعد تعليقات أبى العيناء الساخرة هى أكثر التعليقات التى وصلتنا من مضحكين ظهروا فى الدولة العباسية.

وفى هذه التعليقات نرى قدرته العالية على السخرية ممن ينتقدهم وينالهم بسيف نقده، وإلى جانب ذلك نرى فى تعليقاته بلاغته وعلو تعبيره – فهو أديب كبير فى عصره– وكذلك نرى فى تعليقاته كثيرًا من الصور المبتكرة.

وأيضًا نرى فى تعليقاته آثار ثقافته الواسعة،وبخاصة ثقافته بالقرآن الكريم وتفسيره، وكثيرًا ما يستشهد فى تعليقاته الساخرة بآيات من القرآن الكريم لإفحام من ينتقدهم.

وكذلك نرى فى تعليقاته جرأته الشديدة، فهو ينقد بعض كبار رجال الدولة فى عصره، ولعل الخليفة المتوكل قد أمنه، فأصبح لا يخشى أحدًا غيره، ويوجه نقده لكل شخص – تقريبًا – لا يعجبه سلوكه وتصرفاته فى عصره.

وها هى ذى بعض تعليقاته الساخرة من بعض كبار رجال عصره البارزين.

"وكان فى مجلس إسماعيل بن إسحاق القاضى، فدخل ومشى على رجله فصاح؛ فقال: بسم الله! قال: القَصَّاب يذبح ويقول: بسم الله"[1].

* * *

"ولما اسْتُوْزِرَ صاعد بعقب دخوله من النصرانية فى الإسلام صار أبو العيناء إلى بابه، فقيل: يصلى. فعاد فقيل: يصلى.

فقال: معذور لكل جديدٍ لذة"[2].

* * *

"وقال لصاعدٍ: أنت خير من رسول الله، فقال: ويلك! كيف؟ قال: إن الله تعالى قال له: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[3]، وأنت فظ ولسنا ننفض"[4].

* * *

"وقال له صاعد يومًا: ما الذى أخرك عنا، قال: بنيتى. قال: وكيف؟ قال: قالت: يا أَبَهْ، قد كنت تغدو من عندنا فتأتى بالخِلْعَة السَّرِيَّة، والجائزة السنية، ثم أنت الآن تغدو مُسْدِفًا، وترجع مُعتمًا، فإلى من؟

---

(١) جمع الجواهر، ص٢٨١، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢١٢/٣.

(٢) نثر الدر، ٢٠٠/٣، وانظر أيضًا: زهر الآداب، ٢٨٦/١.

(٣) سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.

(٤) نثر الدر، ١٩٨/٣.

قلت: إلى أبى العلاء ذى الوزارتين. قالت: أيعطيك؟ قلت: لا. قالت: أيشفِّعُكَ؟ قلت: لا. قالت: أفيرفع مجلسك؟ قلت: لا. فقالت: يا أبه، ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾"[1].

* * *

وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق. "فقال: لو كان فى بنى إسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذُبِحَ غيره.

قيل: فأخوه عمر؟ قال: ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾[2].

قيل: فما تقول فى محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟ قال: هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من نفعهما"[3].

* * *

"وشكى أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان تأخر رزقه، فقال: ألم نكن كتبنا لك إلى فلانٍ، فما فعل فى أمرك؟ قال: جَرَّنى على شوك المطل. قال: أنت اخترته.

---

(١) سورة مريم، من الآية ٤٢، والنادرة فى: نثر الدر، ١٩٩/٣.

(٢) سورة النور: من الآية ٣٩.

(٣) جمع الجواهر، ص٢٨٥، وانظر أيضًا: زهر الآداب، ٨٤/١.

قال: وما علىّ وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً، فما كان فيهم رشيد، فأخذتهم الرجفة، واختار رسول الله ﷺ ابن أبى سرحٍ كاتبًا، فلحق بالكفار مرتدًّا، واختار علىّ أبا موسى، فحكم عليه؟!"[1].

أما عن تعليقاته على أصحابه خلال مزاحه معهم أو نقده لسلوك لم يعجبه منهم – فهى تعليقات كثيرة جدًّا نذكر منها هذه التعليقات خلال نوادر تروى عنه.

"دخل على أبى الصقر بعدما تأخر عنه، فقال: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حمارى. قال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك!

قال: فلِمَ لم تأتِنا على غيره؟ قال: قعد بى عن الشراء قلة يسارى، وكرهت ذِلَّةَ المُكَارِى، ومِنَّةَ العَوارِى"[2].

* * *

"وقُدِّمَ إلى مائدةٍ – عليها أبو هِفَّان[3] وأبو العيناء – فالوذج، فقال أبو هفان: لهذه أحر من مكانك فى جهنم.

فقال أبو العيناء: إن كانت هذه حارة فبردها بشعرك"[4].

* * *

---

(١) أخبار الظراف والمتماجنين، ص٩٢- ٩٣، وانظر أيضًا: الأذكياء، ص٩٥، وزهر الآداب، ٢٨٦/١.

(٢) زهر الآداب، ٢٨٢/١.

(٣) أبو هفان: هو عبد الله بن أحمد بن حرب، وهو شاعر أديب راوية، تتلمذ على الأصمعى، وكان ماجنًا فقيرًا، وكان شديد الإعجاب بالجاحظ، وعبر عن قدراته فى السخرية حين قيل له: لم لا تهجو الجاحظ وقد ندَّد بك وأخذ بمخنقك فقال: أمثلى يخدع عن عقله فوالله لو قال فىَّ رسالة فى أرنبة أنفى لما أمست إلا بالصين شهرة، وهو مؤلف كتاب: "أخبار أبى نواس". انظر عنه: معجم الأدباء، ١٤٨٦/٤- ١٤٩٠.

(٤) نثر الدر، ١٩٩/٣.

"قال أبو الجماز: كيف ترى غنائى؟. قال: كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[1]"[2].

* * *

"ولقى أبا الجماز يومًا على حمارٍ صغيرٍ، فقال: لقد سوءتنى حين اضطرك الدهر إلى ركوبِ أصغر أولادك"[3].

وابن مكرَّم هو أكثر شخص من أصدقاء أبى العيناء نالته سهام تعليقاته الساخرة، وكثيرًا ما يباغته بالسخرية منه، وأحيانًا نراه يعلق على تصرف سيىء منه بتعليق ساخر ينتقصه فيه.

وها هى ذى بعض تعليقاته الساخرة فى ابن مكرَّم.

"وقدِم ابن مُكَرَّم من سفرٍ، فقال له أبو العيناء: ما أهديت لى؟. قال: قدمت فى خُفٍّ. قال: لو قدمت فى خف لخلفت نفسك"[4].

* * *

(١) سورة لقمان، من الآية ١٩.

(٢) نثر الدر، ٣/٢٠١.

(٣) المصدر السابق، ٣/٢٠٢.

(٤) المصدر السابق، ٣/٢٠١.

"وحضره يومًا ابن مكرم فأخذ يؤذيه، فقال له ابن مكرم: الساعة والله أنصرف. فقال: ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك"[1].

* * *

"وقال له ابن مكرم: إن ابن الكلبى تعجبه الرائحة الخبيثة. قال: يا سيدى، لو وجدك لترشَّفَكَ"[2].

* * *

"بات أبو العيناء عند ابن مكرم، فجعل ابن مكرم يفسو عليه، فقام أبو العيناء وصعد السرير، فارتفع إليه فساؤه، فصعد السطح فبلغته رائحته.

فقال: يا ابن الفاعلة، ما فساؤك إلا دعوة مظلومٍ"[3].

* * *

"وقال له ابن مُكرَّم: مذهبى الجمع بين الصلاتين. قال: صدقت، ولكن تجمع بينهما بالترك"[4].

ويظهر خلال تعليقات أبى العيناء على أناس معروفين أو مجهولين أو غير محددين – كما يظهر هذا من نوادره التى ينتقد فيها هؤلاء الأشخاص – أنه ساخر فى الرد قوى الحجة، شديد الإفحام لمن يناله ويحاوره.

---

(١) المصدر السابق، ٢٠١/٣.

(٢) جمع الجواهر، ص٢٨٥، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢١٠/٣.

(٣) نثر الدر، ٢١٥/٣.

(٤) المصدر السابق، ٢٠١/٣.

حتى لكأنّ بعض نوادره – التى فيها تعليقات له – عبارة عن مناظرات قصيرة يقضى فيها على خصومه ومنافسيه بالضربة القاضية، كما نرى فى هذه النوادر.

"وقال [له] رجل: ما أنتن إبطك! قال: نلقاك – أعزك الله – بما يشبهك"(١).

* * *

قالت له قينة: "أنت أيضًا يا أعمى! فقال لها: ما أستعين على وجهك بشىءٍ أصلح من العمى"(٢).

* * *

"وقال له بعضهم: إنى لا أرتضى نيتك. فقال: أجل؛ لأنى أعتقد الإسلام"(٣).

* * *

وقال له ابن السِّكِّيْتِ(٤) يومًا: "تراك أحطت بما لم أحط به؟ قال: ما أنكرتَ؛ فوالله لقد قال الهدهد، وهو أخس طائرٍ لسليمان ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ** ﴾(٥)"(٦).

* * *

---

(١) المصدر السابق، ٢١٨/٣.

(٢) المصدر السابق، ٢٠٢/٣.

(٣) المصدر السابق، ٢٠٢/٣.

(٤) ابن السكيت: هو يعقوب بن إسحاق من علماء اللغة والشعر، غضب عليه المتوكل؛ لتشيعه، وتوفى سنة ٢٤٤هـ، انظر فيه: معجم الأدباء، ٢٨٤٠/٦- ٢٨٤١.

(٥) سورة النمل، من الآية ٢٢.

(٦) نثر الدر، ١٩٨/٣.

وقيل له: "لا تعجل؛ فإن العجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[1]"[2].

وأحيانًا نجد أبا العيناء – فى بعض نوادر له – لا ينتظر من غيره أن يهاجمه ليرد عليه بتعليقاته المفحمة، بل إنه يباغته بالهجوم بتعليقاته الساخرة منتقصًا فعلاً من أفعاله أو قولاً من أقواله كما نرى فى هذه النوادر.

"وكان أبو العيناء فى مجلسٍ، وإلى جنبه مغنٍّ بارد، فأقبل على أبى العيناء وقال: يا سيدى كم بيننا وبين الشتاء؟ قال: هذه المِسْوَرَة"[3].

* * *

"وقال الكافى له: كيف أكتب "اللؤم"، بلامٍ أو لامين؟ فقال: صور نفسك"[4].

* * *

"ومرَّ على دار عدو له، فقال: ما خبر أبى محمد؟ فقالوا: كما تحب. قال: فما بالى لا أسمع الرنَّةَ والصُّراخ؟"[5].

* * *

---

(١) سورة طه، من الآية ٨٤.

(٢) نثر الدر، ٢١٣/٣.

(٣) المسورة: وسادة يتكأ عليها، والنادرة فى: نثر الدر، ٢١٦/٣.

(٤) المصدر السابق، ٢٠٥/٣.

(٥) المصدر السابق، ١٩٧/٣، وانظر أيضًا: ٢١٨/٣.

وقال لبعضهم: "أعطيتنى برك تفاريق، وعقوقك جملة!"[1].

* * *

"ودعا ضريرًا يعشيه فلم يدع شيئًا إلا أكله.

فقال له: يا هذا، دعوتك رحمةً فصيرتنى رحمة"[2].

* * *

"وقال له رجل: أشتهى أرى الشيطان، قال: انظر فى المرآة"[3].

وفى أحيان أخرى نرى أبا العيناء يعم الناس كلهم بنقده اللاذع خلال تعليقاته، كما نرى فى هذه النادرة.

"قال أبو العيناء: أنا أؤاكل الناس منذ ثلاثين سنة، ما آثرنى إنسان على نفسه بباذنجانةٍ مضيرةٍ قط"[4].

ويصل الأمر بأبى العيناء أنه لا يكتفى بنقده الساخر خلال تعليقاته من البشر، بل إنه ينقد خلال تعليقاته بعض ألوان الطعام، كما نرى فى هذه النادرة.

"وأكل مرة ديكبراكة، وغسل يده عدة مراتٍ فلم تنق. فقال: كادت هذه القدر أن تكون نسبًا وصِهْرًا"[5].

---

(١) المصدر السابق، ٢١١/٣.

(٢) جمع الجواهر، ص٢٨٥.

(٣) أخبار الظراف والمتماجنين، ص٩٣، وانظر أيضًا: نثر الدر، ٢٠٦/٣.

(٤) نثر الدر، ٢٠٧/٣.

(٥) المصدر السابق، ٢٠٧/٣.

ومع أننا كثيرًا ما نرى أبا العيناء يُفْحِمُ كل من يواجهه ومن يتعرض له بتعليقاته الساخرة – فإنه مع ذلك قد انتصف منه أناس فى مواقف قليلة وأفحموه ولم يحر جوابًا يرد به عليهم، وها هى ذى بعض النوادر القليلة التى أُفحم خلالها أبو العيناء وَوُجِه هو فيها بتعليقات لاذعة لم يستطع أن يرد عليها.

جاء فى كتاب نثر الدر وممن انتصف "من أبى العيناء محمد بن مُكَرَّم، فإنه صادفه ساجدًا وهو يقول: يا رب سائلك ببابك.

فقال: تَمْتَنُّ على الله بأنك سائله وأنت سائل كل بابٍ!!"[1].

ولعلها المرة الوحيدة التى نال فيها ابن مكرّم من أبى العيناء أما المعتاد – وكما رأينا فى نوادر كثيرة سابقة – فإن أبا العيناء هو الذى ينال من ابن مكرَّم بسهام تعليقاته.

وأيضًا نال أبو على البصير من أبى العيناء خلال إحدى النوادر عنهما، وها هى ذى تلك النادرة.

"وقال له أبو علىّ البصير: فى أى وقت ولدتَ؟ قال: قبل طلوع الشمس، قال: لذلك خرجت سائلاً؛ لأنه وقت انتشار السؤَّال"[2].

وهذه نادرة أخرى ينتصر فيها رجل – لا نعرف اسمه – على أبى العيناء الذى يعجز عن الرد على سخريته منه.

---

(١) المصدر السابق، ٣/٢٠٤.

(٢) المصدر السابق، ٣/٢١٧.

"قال أبو العيناء: ما أخجلنى قط إلا رجل دخل إلىّ وقد ولد لى مولود وعندى مُنَجِّم يعمل مولده، فقال: أى شىءٍ يعمل هذا المنجم؟ فقلت: يعمل مولدًا لابنى هذا، فقال: سله قَبْلُ هل هو منك؟"[1].

والأعجب من هذا أن نجد امرأة تنال من أبى العيناء، ويحاول أن يفحمها بالرد، ولكنها تنتصر عليه فى النهاية.

قال أبو العيناء: "خطبت امرأة [فاسجحتنى][*]، فكتبتُ إليها:

فإن تنفرى من قبح وجهى فإننى أريب أديب لا غبى ولا فَدْمُ

فأجابتنى: ليس لديوان الرسائل أريدك"[2].

ومهما يكن الأمر فهذه مواقف قليلة يُنال فيها من أبى العيناء، ويعجز عن الرد على من يسخر منه أو ينتقص من قدره فيها، ولكن الغالب على أبى العيناء أنه هو الذى ينتصر على من ينتقدهم ويسخر منهم بتعليقاته، ويصيبهم عند ذلك صمت الخسران، والعجز عن الرد على تعليقاته تلك الساخرة.

---

(١) البصائر والذخائر، ٤٠/٧.

(*) كذا بالأصل ولعلها "فاستقبحتنى".

(٢) نهاية الأرب، ٢١/٤.

الخاتمـــــة

احتوت هذه الدراسة على كثير من النتائج، ولعل أهمها:

١- أن هذه الدراسة – فى ظنى – جديدة فى موضوعها، وغير مسبوقة.

٢- حاولت فى هذه الدراسة أن ألقى ضوءًا كبيرًا على هؤلاء المضحكين الذين لم يلتفت إليهم كثيرًا فى الدراسات الأدبية السابقة.

٣- ذكرت أن هؤلاء المضحكين كانوا يقومون بأدوار كبرى فى إسعاد الناس وإمتاعهم، وتثقيفهم أحيانًا، وكانوا بديلاً لوسائل الترفيه المعروفة الآن كالتلفاز والسينما والمسرح.

٤- لم يكن هؤلاء المضحكون القدماء صنفًا واحدًا، بل كانوا أصنافًا متعدّدة، فهناك مضحكو الخلفاء والخاصة، وهناك مضحكو العامة الذين كانوا يفدون على الخلفاء وكبار رجال الدولة أحيانًا، ولكن دورهم الأساسى كان فى إضحاك عامة الناس.

وهناك المضحكون المتحامقون الذين وجدوا أن التحامق يعمل على نشر بضاعتهم فى الإضحاك وبخاصة فى عصر المتوكل الذى اهتم كثيرًا باللهو وكل وسائل الترفيه والإضحاك، وجمع إليه كثيرًا من مضحكى عصره وملهيه.

وكذلك كان من هؤلاء المضحكين حمقى، ومخنّثون، وغير ذلك.

٥- وتعدَّدت الوسائل التى استخدمها المضحكون لإضحاك الناس، ومنهم من كان يستخدم وسائل عديدة فى إضحاكهم كالتمثيل وصناعة الحيل الظريفة وحبك القصص الطريفة، واستخدام تشويه وجهه وجسمه وعلى رأس هذا الفريق أشعب.

ومن المضحكين من كان يعتمد وسيلة أو وسيلتين فى الإضحاك مثل أبى العيناء الذى كان يعتمد فى إضحاكه مَنْ حوله على تعليقاته الساخرة بوجه خاص.

٦- وقد قام هؤلاء المضحكون بدور كبير فى صناعة النوادر وتوليدها، فكثير من النوادر التى ذُكرت فى كتب المختارات الأدبية تدور عنهم، وبعضها من تأليفهم.

٧- ولا شك أن النوادر والحكايات الطريفة التى تنسب لهؤلاء المضحكين تزيد طرافة عن تلك النوادر التى يكون الأشخاص بها من خارج هؤلاء المضحكين؛ لقدرة هؤلاء المضحكين على بث جرعة كبيرة من الفكاهة فى النوادر التى يؤلفونها أو يحكونها عن أنفسهم.

٨- وكثير من النوادر والحكايات الطريفة المذكور فيها هؤلاء المضحكون هى قطع أدبية رائعة، فيها بلاغة التعبير، وروعة التصوير، والحكى المشوق الممتع، بما فيه من قص وحوار وذكر شخصيات، وعرض للمكان والزمان وغير ذلك من وسائل الحكى، ويضاف لهذا روح الفكاهة العالية الموجودة فى هذه النوادر والحكايات الطريفة.

٩- ولا شك أن كتَّاب كتب المختارات الأدبية قد وجدوا غايتهم الكبرى فى نوادر هؤلاء المضحكين وحكاياتهم الطريفة، ولعل هذه النوادر والحكايات عنهم، قد دفعت هؤلاء المؤلفين لكتابة كتب المختارات الأدبية كالجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، وابن عبد ربه.

١٠- بل إن بعض المؤلفين كالجاحظ والخطيب البغدادى وابن الجوزى قد ألفوا كتبًا عن نوادر هؤلاء المضحكين وحكاياتهم، ولولا وجود هؤلاء المضحكين ما أُلِّفت هذه الكتب.

١١- وقد ذكرتُ فى التمهيد أن بعض هؤلاء المضحكين قد أَلَّفوا كتبًا فى تعليم الهزل، وإضحاك الناس مثل أبى العنبس الصيمرى. وليس مستغربًا أن يقوم بعض هؤلاء المضحكين بتأليف مثل هذه الكتب، فهم أدباء – وبعضهم شعراء –، يمتلكون القدرة على التأليف الفكاهى.

١٢- وبعض هؤلاء المضحكين كانوا شعراء مثل أبى دلامة، وقد كان ابتكار الشعر الكاريكاتيرى على أيديهم.

١٣- ووجدنا الجاحظ يكتب –خلال كتبه– عن تنظير الفكاهة والنادرة، مستشهدًا خلال ذلك بنوادر هؤلاء المضحكين وحكاياتهم وأقوالهم، ومن ثم كانوا دافعًا كبيرًا بأقوالهم وأفعالهم للجاحظ ليكتب حول تنظير الفكاهة والنادرة بشكل خاص.

١٤- وهناك العديد من النوادر والحكايات الطريفة لهؤلاء المضحكين ما زالت تصلح لإعادة صياغتها فى أعمال أدبية: مسرحية أو قصصية أو روائية، أو شعرية، وقد نبهت لبعضها خلال هذه الدراسة.

١٥- وبالفعل قد أفاد بعض كتاب المسرح والرواية فى عصرنا هذا من بعض نوادر هؤلاء المضحكين وحكاياتهم الطريفة، وضمنوها فى أعمالهم الأدبية، وقد أشرت لبعض الأعمال الأدبية الحديثة التى تأثر كاتبوها فيها ببعض النوادر والحكايات الطريفة لهؤلاء المضحكين.

ولا شك أن بالدراسة نتائج أخرى عديدة يمكن الرجوع إليها بقراءة الدراسة كلها.

المصـادروالمراجـع

أولاً: المصـــادر

- **الأبشيهى**

المستطرف فى كل فن مستظرف. شرحه ووضع هوامشه: د. مفيد محمد قميحة. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- **الآبـى**

نثر الدر. تحقيق: مجموعة من المحققين. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- **ابن الأثير**

الكامل فى التاريخ. عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه: نخبة من العلماء. بيروت، دار الكتاب اللبنانى، د.ت.

- **الأصفهانـى**

- الأغانى. تحقيق: نخبة من المحققين. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الأغانى. وزارة الثقافة والإرشاد القومى. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. مصور من مطبعة دار الكتب.
- الإماء الشواعر. تحقيق: د. فوزى حمودى القيسى، ود. يونس أحمد السامرائى. بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **الترمذى**

- الجامع الصحيح (وهو سنن الترمذى). تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وآخرين. القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
- الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية. ضبطه وصححه: محمد بن عبد العزيز الخالدىّ. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- **ابن تغرى بردى**

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. قدَّم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- **الثعالبى**

لباب الآداب. حرره وحققه: أحمد حسن. بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **الجاحظ**

- البخلاء. تحقيق: د. طه الحاجرى. القاهرة، دار المعارف، ط٧، ١٩٩٠م.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- البيان والتبيين. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

- التاج فى أخلاق الملوك "منسوب للجاحظ" تحقيق: أحمد زكى باشا. إيران، فروردين، ط١، ١٣٧٠هـ.
- التبصُّر بالتجارة. عُنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه العلامة: السيد حسن حسنى عبد الوهاب التونسى. الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- الحيوان. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- رسائل الجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجى بالقاهرة، د.ت.
- القول فى البغال. حقق الكتاب وعلق عليه ووضع الفهارس: شارل بلاّ. بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- **ابن الجوزى**

- أخبار الحمقى والمغفلين. تحقيق: د. أحمد أحمد شتيوى. القاهرة، دار الغد الجديد، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- أخبار الظراف والمتماجنين. بعناية: بسَّام عبد الوهاب الجابى. بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الأذكياء. بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

- **ابن حبيب النيسابورى "أبو القاسم الحسن بن محمد"**

عقلاء المجانين. تحقيق وتعليق: مصطفى عاشور. القاهرة، مكتبة الساعى، ١٩٨٩م.

- **ابن حجر العسقلانى**

لسان الميزان. بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/ كانون الثانى ١٩٨٧م.

- **الحصرى القيروانى**

- جمع الجواهر فى الملح والنوادر. تحقيق: على محمد البجاوى. بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- زهر الآداب وثمر الألباب. تحقيق: على محمد البجاوى. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، د.ت.

- **أبو حيان التوحيدى**

البصائر والذخائر. تحقيق: د. وداد القاضى. بيروت، دار صادر، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- **الخطيب البغدادى**

البخلاء. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم. القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٠م.

- **الخطيب البغدادى**

التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم. القاهرة، مكتبة القدسى، ط٢، ١٩٨٣م.

- **ابن خلكان**

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. حققه: د. إحسان عباس. بيروت، دار صادر.

- **الذهبى**

سير أعلام النبلاء: أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- **الزبير بن بكّار**

الأخبار الموفقيات. تحقيق: د. سامى مكى العانى. بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- **ابن سعيد الأندلسى**

المقتطف من أزاهر الطرف. تحقيق: د. سيد حنفى حسنين. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.

- **شهاب الدين أحمد بن العماد الشافعى**

القول النبيل بذكر التطفيل. دراسة وتحقيق: مصطفى عاشور. الرياض، مكتبة الساعى، ١٩٨٩م.

- **الطبرى**

تاريخ الطبرى "تاريخ الرسل والملوك". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٧٩م.

- **ابن طيفور**

تاريخ بغداد. عنى بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسينى. مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- **ابن عبد البر**

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب. تحقيق: على محمد البجاوى. بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **ابن عبد ربه**

العقد الفريد. تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ود. عبد المجيد الترحينى. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

- **عبد الستار فرّاج**

أخبار جحا. مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ط٣.

- **ابن العماد الحنبلى**

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. بيروت، دار المسيرة، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- **ابن قتيبة**

عيون الأخبار. شرحه وضبطه وعلق عليه وقدَّم له ورتب فهارسه: د. يوسف على طويل. بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

- **الماوردى**

أدب الدنيا والدين. حققه وعلق عليه: مصطفى السقا. القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده، ط٣، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

- **المبرد**

الكامل. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربى، د.ت.

- **ابن المرتضى**

طبقات المعتزلة. تحقيق: سُوسنة ديفيلد فِلْنر. بيروت، ط٢، د.ت.

- **المسعودى**

مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. بيروت، المكتبة الإسلامية، د.ت.

- **مسكويه**

تجارب الأمم. مطبوع مع كتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق. لمؤلف مجهول. بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

- **الملا على الفارسى**

جمع الوسائل فى شرح الشمائل. رسالة ماجستير إعداد: منال بنت طلال عبد الله الزهرانى. كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- **الميدانـى**

مجمع الأمثال. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت، دار الجيل، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **ابن النديم**

- الفهرست. تحقيق: رضا تجدَّد. بيروت، دار المسيرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- الفهرست. بيروت، دار المعرفة، د.ت.

- **النويرى**

نهاية الأرب فى فنون الأدب. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

- **ياقوت الحموى**

معجم الأدباء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب". تحقيق: د. إحسان عباس. بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٩٣م.

- **يموت بن المُزَرِّع**

الأمالى. منشور ضمن كتاب نوادر الرسائل. جمع وتحقيق: إبراهيم صالح. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

ثانيـًا: المراجع العربيـة

- **إبراهيم حمادة (دكتور)**

معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية. القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م.

- **أحمد أمين**

ضحى الإسلام. القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط١٠، د.ت.

- **أحمد شوقى**

الأعمال الكاملة (المسرحيات). قام على تحقيق هذه الطبعة لغويًّا وعروضيًّا: سعد درويش. وراجعها: د. عز الدين إسماعيل. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

- **أحمد محمد الحوفى (دكتور)**

الفكاهة فى الأدب أصولها وأنواعها. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير ٢٠٠١م.

- **توفيق الحكيم**

- أشعب ملك الطفيليين. مكتبة مصر. دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه، ١٩٩٠م.
- فن الأدب. القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، د.ت.

- **حسين خريوش (دكتور)**

أدب الفكاهة الأندلسى "دراسة نقدية تطبيقية". الأردن، منشورات جامعة اليرموك.

- **زكريا إبراهيم (دكتور)**

سيكلوجية الفكاهة والضحك. القاهرة، مكتبة مصر، د.ت.

- **سالم البهنساوى**

مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية. الكويت، دار القلم، د.ت.

- **سعد الله ونوس**

مغامرة رأس المملوك جابر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

- **شوقى ضيف (دكتور)**

- العصر الجاهلى. القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة والعشرون.
- الفكاهة فى مصر. القاهرة، دار المعارف، ط٣.

- **صالح لمباركية**

بناء الشخصية فى مسرح ألفريد فرج. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة الجديدة. عدد ٥٢، ١٩٩٧م.

- **عباس محمود العقاد**

جحا الضاحك المضحك. القاهرة، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٦٥، أغسطس ١٩٥٦م.

- **عبد التواب يوسف**

مسرحية "جحا الميت الحى". ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

- **عبد السلام محمد هارون**

قطوف أدبية دراسات نقدية فى التراث العربى حول تحقيق التراث. القاهرة، مكتبة السنة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

- **عبده بدوى (دكتور)**

الشعراء السود وخصائصهم فى الشعر العربى. القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

- **على أحمد باكثير**

مسرحية "أبى دلامة". القاهرة، مكتبة مصر للطباعة، ١٩٧٧م.

- **على الحديدى (دكتور)**

الأدب وبناء الإنسان فى أدب الأطفال. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

- **على الراعى (دكتور)**

مسرح الشعب "الكوميديا المرتجلة – فنون الكوميديا – مسرح الدم والدموع". القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

- **على محمد السيد خليفة (دكتور)**

- بنية السرد فى النادرة، نوادر الأعراب فى كتاب عيون الأخبار نموذجًا. الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠م.
- الجاحظ والدولة العباسية. الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، ٢٠١١م.

- **فدوى مالطى دوجلاس (دكتور)**

بناء النص التراثى دراسات فى الأدب والتراجم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

- **محمد حسن عبد الله (دكتور)**

قصص الأطفال أصولها الفنية .. روادها. القاهرة، العربى للنشر والتوزيع.

- **محمد رجب النجار (دكتور)**

جحا العربى. الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٠)، أكتوبر، ١٩٧٨م.

- **محمد عنانى (دكتور)**

فن الكوميديا. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

- **محمد مصطفى هدارة (دكتور)**

اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى، دار المعرفة الجامعية، د.ت.

- **محمد يوسف نجم (دكتور)**

فن القصة. بيروت، دار الثقافة، د.ت.

- **نبيل راغب (دكتور)**

فن التأليف الروائى. القاهرة، مكتبة نهضة مصر، دار مصر للطباعة، ١٩٩٠م.

ثالثًا: المراجع المترجمة

- **ألارديس نيكول**

علم المسرحية. ترجمة: درينى خشبة. القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، د.ت.

- **د. ر. بلاشير**

تاريخ الأدب العربى. ترجمة: د. إبراهيم الكيلانى. بيروت، دار الفكر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- **روجر. م. بسفيلد (الابن)**

فن الكاتب المسرحى للمسرح والإذاعة والتليفزيون والسينما. ترجمة: درينى خشبة. القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٤م.

- **شارل بلاّ (دكتور)**

تاريخ اللغة والآداب العربية. تعريب: رفيق بن ونَّاس،وصالح حيزم، والطيب العشّاش. بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٩٧م.

- **كارل بروكلمان**

تاريخ الأدب العربى. ترجمة: د. عبد الحليم النجار. القاهرة، دار المعارف، ط٥، ١٩٨٣م.

- **لاجوس إجرى**

فن كتابة المسرحية. ترجمة: درينى خشبة. مكتبة الأنجلو المصرية.

- **ل. ج. بوتس**

الملهاة فى المسرحية والقصة. ترجمة: إدوارد حليم. مراجعة: درينى خشبة. الدار المصرية للتأليف والترجمة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

- **موليير**

مسرحية "الطبيب رغمًا عنه". ترجمة: يوسف محمد رضا. دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.

- **هنرى برجسون**

الضحك "البحث فى دلالة الضحك". ترجمة: سامى الدروبى وعبد الله عبد الدايم. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

- **ول ديورانت**

قصة الحضارة. ترجمة: محمد بدران. الجزء الثانى من المجلد الرابع. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٩٧٤م.

رابعًا : المجلات والدوريات والمؤتمرات والموسوعات

- **خير الدين الزركلى**

الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار، مايو، ٢٠٠٢م.

- **زكريا إبراهيم (دكتور)**

مقال بعنوان: "لماذا نضحك". نشر بمجلة الهلال. العدد الثامن، السنة الرابعة والسبعون، أغسطس ١٩٦٦م.

- **على الراعى (دكتور)**

ضحك يحيى وضحك يميت. مقال منشور فى مجلة الهلال. العدد الثامن، السنة الرابعة والسبعون، أغسطس ١٩٦٦م.

- **على محمد السيد خليفة (دكتور)**

البنية الدرامية فى قصيدة أبى دلامة اللامية فى بغلته. بحث منشور فى المؤتمر العلمى الثانى (معالم التلاقى بين علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية). كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، مج١.

- **وديعة طه النجم (دكتور)**

الفكاهة فى الأدب العباسى. بحث منشور فى مجلة عالم الفكر. الكويت، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٢م، المجلد الثالث عشر، العدد الثالث.

خامسًا : الرسائل العلمية المخطوطة

- **جمال محمد سرحان**

المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجرى. رسالة مقدمة إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى فى الجامعة الأمريكية فى بيروت لنيل درجة أستاذ فى الآداب، حزيران ١٩٧٨م.

صدر للمؤلف

أولاً : فى مجال الدراسات الأدبية

(١) الفكاهة فى مقامات بديع الزمان الهمذانى دراسة تحليلية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٢) بنية السرد فى النادرة نوادر الأعراب فى كتاب عيون الأخبار نموذجًا. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٣) تيار الشعوبية فى أدب الجاحظ. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٤) الجاحظ والدولة العباسية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٥) دراسات فى فنون النثر العربى القديم. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٦) فن المناظرة دراسة فى تطور فن المناظرة حتى نهاية العصر العباسى الأول. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٧) دراسات فى اللغة العربية (تم تأليفه بالاشتراك مع آخرين). دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٨) مسرح الطفل البناء والرؤية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٩) الأدب فى العصر الجاهلى. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(١٠) النص الأدبى، مغامرة القراءة ومتعة الاستكشاف. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(١١) صورة الطفل فى النادرة. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(١٢) صورة المرأة فى النادرة. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(١٣) صورة الحيوان فى النادرة. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(١٤) شخصية المضحك عند العرب حتى نهاية حكم المتوكل "دراسة فنية". دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

ثانيًا: فى مجال الإبداع للأطفال

(١) مغامرات الحمار الكسلان – المحتال مسرحيتان للأطفال. الهيئة العامة لقصور الثقافة. إقليم القناة وسيناء. فرع ثقافة شمال سيناء.

(٢) غابة الأجداد ومسرحيتان كوميديتان أخريان للأطفال. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٣) حُلم سندريلا ومسرحيات كوميدية أخرى للأطفال. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٤) قصص جحا المضحكة. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٥) أجمل حكايات الحيوانات. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٦) مغامرات الثعلب مكور (قصص مضحكة للأطفال). دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٧) القاضى الصغير وأوبريتات أخرى للأطفال. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٨) أصدقاء الفراشات وأوبريتات أخرى للأطفال. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(٩) الفأر المخترع وأوبريتات أخرى كوميدية للأطفال. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

(١٠) جحا والمجنون ومسرحيات أخرى كوميدية قصيرة عن جحا للأطفال. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

ثالثًا: دواوين شعر

(١)ديوان الناس كم فيهم عجب "قصائد فكاهية". دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر بالإسكندرية.

للتواصل مع المؤلف: dr.alikhalifa1967@yahoo.com